أكذوبة

مذكرات الجاسوس البريطاني همفر

(وبيان حقيقة مَن كذبها، لتشويه دعوة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، والدولة السعودية الأولى)

إعداد

سليمان بن صالح الخراشي

١٤٣١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أكذوبة مذكرات همفر

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخراشي، سليمان صالح

اكذوبة مذكرات همفر/ سليمان صالح الخراشي.- ط١.-

الرياض، ١٤٣١هـ

١٦٨ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٨ - ٤١٤٣ - ٠٠ - ٦٠٣-٩٧٨

١- الدعوة السلفية - دفع مطاعن ٢- الدعوة السلفية - تاريخ السعودية ٣- محمد بن عبدالوهاب بن سليمان أ- العنوان

ديوي ٢١٧,٢ ٥٢٨/ ١٤٣١

رقم الإيداع: ٥٢٨/ ١٤٣١

ردمك: ٨ - ٤١٤٣ - ٠٠ - ٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م



الناشر

دار الآل والصحب للنشر والتوزيع

الرياض - الديرة - جامع الإمام تركي بن عبدالله

هاتف: ٤١١١٢٢٢ - فاكس: ٤١٤٥٩٩١

هاتف جوال: ٠٥٠٥٤٦٣٧١١

بريد إلكتروني dar_alaal@hotmail.com

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد؛ فإن تشويه الحق، ولو بالأكاذيب، سنة أعداء الرسل عليهم السلام، وأتباعهم، منذ بعثهم الله، إلى أن يرث الأرض ومَن عليها؛ كما قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾، وقال عن خاتمهم ﷺ: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾.

فينبغي على من استقام على طريقتهم، واقتدى بهديهم، أن يُوطّن نفسه على هذه المقابلة من أعداء الحق؛ لأنه ليس بأكرم عند الله من رسله صلى الله عليهم وسلم، ولا يُعيقه هذا عن السير قدمًا، إلى أن ينشر نور الحق

شعاعه بين الخافقين؛ كما هي سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ﴾.

قال ابن القيم رحمه الله:

والحق منصورٌ ومُمتحنٌ فلا تعجب فهذي سنة الرحمن

وشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ليس بِدَعًا في هذا الأمر، فقد تعرض لما تعرض له رسل الله، من الأكاذيب والبهتان، وواجه - منذ أن جهر بدعوة التوحيد الخالص في مجتمعات تشربت الشرك والانحراف، حتى طمها أو كاد، واستمرأت العيش في وسط هذا الواقع المظلم - سيلًا جارفًا من التهم والأكاذيب، لتشويه دعوته، وتنفير الناس عنها، من قِبَل أطراف عديدة، متباينة المشارب، يصدق عليها قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾، صاحت عليه بصوتٍ واحد لما سمعت منه دعوة التوحيد؛ كما أخبر الله عن أشباههم بقوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، وقوله: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾.

وقد ابتدأت حلقات سلسلة الافتراءات في عصره، مما جعله يُردد تجاهها في رسائله: قوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ﴾(١).

ولقد عاداه وناوأه:

١- علماء السوء، من الحسَدة، وأكلة السُحت.

---

(١) انظر: «مؤلفات الشيخ - القسم الخامس - الرسائل الشخصية» (ص ١٢).

٢- وحكام الجَور.

٣- وكفرة اليهود والنصارى.

٤- والمبتدعة. وعلى رأسهم: الرافضة والصوفية.

مصداقًا لقوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

ومن آخر كذباتهم في هذا العصر: اختراع بعضهم لما سمي بـ«مذكرات همفر»، وهو شخصيه وهميه زعم مخترعها أن همفر جاسوسٌ بريطاني أُرسل من قِبَل وزارة المستعمرات البريطانيه؛ للتجسس على بلاد الإسلام، ومحاوله بث الفرقه بين المسلمين، مستغلًا في ذلك الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ! الذي التقى به في البصرة، ثم قام همفر بكتابه مذكراته المليئة بالهراء - كما سيأتي إن شاء الله تعالى -.

وهذه المذكرات مجرد كذبة، افتراها أحد أبالسة الباطل، ثم صدقها بعض المناوئين لهذه الدعوة السلفية - على اختلاف مشاربهم -؛ لأنها وافقت هواهم، وتمكنت من قلوبهم المريضة، لعلها تشفي ما فيها من غيظ وغل على الدعوة السلفية وصاحبها. وقد أنبأنا الله عن عاقبة أمثال هؤلاء المناوئين المغتاظين من الحق، بقوله: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾. قال ابن كثير: «قال ابن عباس: من كان يظن أن لن ينصر الله محمدًا ﷺ في الدنيا والآخرة؛ ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ أي بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي سماء بيته ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ ثم ليختنق به، وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وأبو الجوزاء وقتادة وغيرهم، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ﴿فَلْيَمْدُدْ

بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي ليتوصل إلى بلوغ السماء؛ فإن النصر إنما يأتي محمدًا من السماء ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ ذلك عنه إن قدر على ذلك، وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى، وأبلغ في التهكم؛ فإن المعنى: من كان يظن أن الله ليس بناصر محمدًا وكتابه ودينه، فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه، فإن الله ناصره لا محالة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ الآية، ولهذا قال: ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾»[١].

قلت: ولم أكن لأحفل بهذه الأكذوبة الساذجة «مذكرات همفر»، التي اخترعها الرافضة - كما سيأتي -، وصدّقوها!، ونشروها في منتدياتهم، وطاروا بها فرحًا؛ لأننا قد تعودنا منهم مثل هذه الكذبات السخيفة على مر التاريخ، فهم - بحق - «بيت الكذب». لولا أني وجدتُ صدى كذبتهم يُرجِّعه غيرهم، وفيهم من يُزعم أنه من العلماء والدكاترة المثقفين! الذين لم يُحصّنهم علمهم وثقافتهم من روَجان «إفك» الرافضة عليهم، ولم يحجزهم إيمانهم عن الدخول تحت قوله تعالى عن سمّاعي شبه ذاك الإفك: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾، ليشملهم وعيد الله تعالى القائل: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٣).

(٢) إضافة إلى أن المذكرات لا زالت تُطبع، ويُحتفى بها. ومن آخر طبعاتها: طبعة دار الفنون للطباعة والنشر والتوزيع، عام ٢٠٠٥م، بعنوان «مذكرات مستر همفر - سيطرة الإنكليز ودعمهم لمحمد بن عبد الوهاب -»!

ومن هؤلاء:

١- الأستاذ إيهاب عمر، صاحب كتاب «الخليج البريطاني»، الذي اعتمد «مذكرات همفر» في تشويه شخصية الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله[١].

٢- الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي[٢]، عندما سئل عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله؛ فأجاب: «الحركة الوهابية ساعدت بريطانيا في إيجادها..»[٣]!

٣- سامي المليجي في كتابه «الوهابية»، حيث ألحق به مذكرات همفر! بعد أن قال في المقدمة[٤]: «وفي أثناء إعداده اطلعت على كتيب عنوانه «مذكرات مستر همفر»، موضوعه الأساسي أن الدعوة الوهابية صنيعة المخابرات البريطانية»!

٤- عبدالقديم زلوم، أمير حزب التحرير الثوري! بعد وفاة مؤسسه تقي الدين النبهاني، في كتابه «كيف هُدمت الخلافة»[٥].

---

(١) طالع (ص ١٢ - ٢٦) من كتابه.

(٢) أحد علماء سوريا المعاصرين. صوفي، أشعري، مناصبٌ العداءَ للدعوة السلفية. انظر: «البيان بالدليل لما في نصيحة الرفاعي والبوطي من الكذب الواضح»؛ للشيخ صالح الفوزان، و«الرد على الرفاعي والبوطي في كذبهما على أهل السنة ودعوتهما إلى البدع والضلال»؛ للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر.

(٣) نقلًا عن موقعه على شبكة «الأنترنت».

(٤) (ص ١٤).

(٥) (ص ١٠ - ١١). وانظر للرد عليه: «الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب»؛ للشيخ محمود إستانبولي رحمه الله (ص ٦٢ - ٦٦)، ورسالة: «حزب التحرير وآراؤه الاعتقادية - عرضًا ونقدًا»؛ للشيخ موسى السلمي (ص ٤٢٩ - ٤٣٠).

٥- الإعلامي فيصل القاسم، كتب مقالًا بعنوان «كلام أنترنت»[١]، جاء فيه: «لقد فقدت الوثائق القيمة قيمتها ومصداقيتها بمجرد وضعها على الانترنت، فكم من الوثائق والحقائق أصبح مشكوكًا في صدقيتها ودقتها بعد أن انتشرت على الأثير الالكتروني، مع العلم أنها قد تتمتع بقدر كبير من الأهمية. فمثلًا بمجرد أن أفرجت الخارجية البريطانية عن الوثيقة الشهيرة للمستر «همفر»، التي يروي فيها قصة نشر الوهابية في المنطقة العربية، فقدت الوثيقة مصداقيتها، وأصبحت بعد انتشارها على الانترنت كانتشار النار في الهشيم، في نظر الكثيرين، مجرد تلفيق وافتراء على المذهب الوهابي، ولا يستطيع أحد الآن إثبات صحة الوثيقة أو نفيها، لا لشيء، إلا لأنها غدت مادة انترنتية مبتذلة»!!

قلت: وهذا كذبٌ رخيص من الإعلامي «الدرزي»! تناغمًا مع إخوانه الرافضة - كما سيأتي -، ومحاولة ذكية! لتثبيت هذه المذكرات المزعومة في أذهان القراء، باستعمال عبارة «أفرجت الخارجية البريطانية..»! وهو يعلم أن لا ثمّ إخراج أو إفراج! ولكنها ألاعيب الإعلاميين، ممن توجههم عقائدهم التي تظهر على الفلتات.

٦- الدكتور أحمد شوقي الفنجري، كتب مقالًا بعنوان «جاسوس بريطاني ينشر الوهابية»[٢]!

٧- الكاتب الصوفي المتشيع عبد الحليم العزمي، في مقالة له بعنوان «يا

---

(١) جريدة الشرق القطرية، الأحد ٢٥ مارس ٢٠٠٧م.

(٢) مجلة روز اليوسف! بتاريخ ١٥-٢١/ ٧/ ٢٠٠٦م. وقد رد عليه الدكتور فهد السماري بمقال عنوانه «همفر شخصية مزيفة وصنيعة إعلامية وسياسية»، في نفس المجلة، بتاريخ ١ سبتمبر ٢٠٠٦م، العدد (٤٠٨١).

أمة الإسلام: أنقذوا كتاب الله من تحريف الوهابية»[١]! ناقلًا عن مذكرات همفر أنه اتفق مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تحريف القرآن!

٨- طائفة الأحباش في لبنان، في مجلتهم «منار الهدى»، التي يصدرها المكتب الإعلامي في جمعيتهم «المشاريع الخيرية الإسلامية»[٢].

٩- الدكتور حمزة الكتاني، في مقدمته لكتاب «الفجر الصادق المشرق المفلق في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق»؛ لجعفر الكتاني، حيث قال[٣]: «ولقد وقفت على مذكراتٍ مهمةٍ منسوبة لجاسوس بريطاني مسمى همفر.. - ثم أورد شيئًا منها؛ لتشويه الدعوة السلفية -»، غير آبهٍ باختلاقها - للأسف -.

١٠- عباس الجراري، في مقاله «أسباب تقدم المسلمين وتأخرهم» من خلال تقرير جاسوس بريطاني، رغم اعترافه أن مترجم المذكرات «شخص مجهول»![٤]

---

(١) مجلة «الإسلام وطن» التابعة له ولطريقته الصوفية المتشيعة، العدد ٢٥٨، صفر، ١٤٢٩هـ. وقد رد عليه الشيخ عبدالله زيدان على شبكة الأنترنت، بمقال عنوانه «إلى عبد الحليم العزمي.. إلا كتاب الله ﷻ». وانظر عن طريقتهم الصوفية المتشيعة: مقال «الطريقة العزمية.. قنطرة التشيع في مصر؟»؛ للأستاذ أسامة الهتيمي، منشور في موقع شبكة «رسالة الإسلام» على شبكة الأنترنت.

(٢) العدد ٢٨، رمضان، ١٤١٥هـ. وانظر لبيان عقائدهم وحقدهم على أهل السنة: رسالة «فرقة الأحباش: نشأتها - عقائدها - آثارها»؛ للدكتور سعد الشهراني، و«موسوعة أهل السنة في نقد أصول فرقة الأحباش و من وافقهم في أصولهم»؛ للشيخ عبدالرحمن دمشقية، و«الأحباش دعاة ضلالة فليُحذروا»؛ للشيخ أبي بكر الجزائري.

(٣) ص ٥ - ١٤ .

(٤) مجلة الأكاديمية، المغربية، العدد (٢٥)، عام ٢٠٠٨م.

قلت: إن المرء ليعجب من السماعين لهذا الإفك الرافضي على الشيخ محمد ودعوته السلفية المباركة، عندما يدَعون المراجع المعتمدة لمعرفة حقيقة دعوته وسيرته، بل يدعون رسائله ومؤلفاته المبثوثة في العالمين، لم يُخفَ منها شيء[١]، ويلجأون إلى كلام الكافر النصراني[٢]، النكرة المجهول: «همفر»؟!

فيصدق فيهم قول الشاعر:

ومن جعل الغراب له دليلًا يَمُرُّ به على جِيَفِ الكلاب

ليعلم العقلاء - بعدها - أن هؤلاء السمّاعين أصحاب هوىً، قد شُحنت نفوسهم بالغيظ على دعوة التوحيد، مابين مستقلٍ ومستكثر.

عافانا الله من حالهم.

---

(١) وقد طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود بعنوان «مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب»، بإشراف لجنة علمية متخصصة.

(٢) أما الرافضة فلا عجب أن يعتمدوا على النصارى في تشويه دعوة الكتاب والسنة؛ لأن دينهم قام سوقه على الكذب منذ أن أسسه اليهودي ابن سبأ. ولكني أشير إلى تناقض أحد مراجعهم الكبار في هذا العصر بخصوص هذه المسألة، وهي الاعتماد على كتب النصارى «الثابتة فضلًا عن المختلقة»!، وهو الشيخ محسن الأمين، الذي رد في كتابه «أعيان الشيعة» (١/ ٤١) على الأمير شكيب أرسلان، عندما اعتمد على مقولة صادقة للفيلسوف الفرنسي رينان، ينتقد فيها شعوبية الشيعة الفرس، قائلًا: «ومن المؤسف، المخجل جدًا، أن الانحطاط قد بلغ بالمسلمين إلى حد أن صاروا يأخذون تاريخهم وفلسفة دينهم عن الفرنج، كأنه ليس في الإسلام مؤرخ ولا فيلسوف، نأخذ تاريخنا وفلسفة ديننا عنه، كلا والله، لسنا بحاجة إلى المؤرخ الأمريكي، والفيلسوف الفرنساوي..»! قلت: هلاّ لقومك الكذبة كان ذا التعليم؟!

هذا؛ وقد جعلتُ رسالتي تقوم على المباحث التالية:

المبحث الأول: أسباب الكذب على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المبحث الثاني: نماذج متنوعة لهذا الكذب.

المبحث الثالث: ملخص مذكرات همفر.

المبحث الرابع: الأدلة على اختلاق مذكرات همفر.

المبحث الخامس: الأدلة على شيعية كاذب مذكرات همفر.

أسأل الله أن ينفع بما كتبت، وأن تكون هذه الرسالة معينة لدفع عندما يُثار الحديث عن مذكرات همفر المزعومة.

ولا يفوتني أخيرًا أن أشكر أخي الشيخ محمد بن حمد النمي، على تفضله عليّ بقراءة هذا الكتاب قبل طبعه، وتزويدي بملاحظاته الثمينة، فجزاه الله خيرًا، وبارك في عمُره وعلمه. والله الموفق، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

سليمان بن صالح الخراشي
Alkarashi@hotmail.com

❑ ❑ ❑

المبحث الأول
أسباب الكذب على الشيخ
محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، ودعوته السلفية[1]

من خلال الاطلاع على مواقف وكتب خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية فإنه يمكن إيجاز أبرز الدوافع والأسباب التي أدت إلى العداء والمناهظة للدعوة السلفية؛ ثم الكذب والافتراء عليها فيما يلي:

١- أن الحق ثقيلٌ قبوله على بعض الأنفس ممن ركنت إلى واقعها المنحرف وأهوائها المتنوعة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾، وكما حكى عن نبيه صالح عليه السلام قوله: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾. فإتباع الحق إذا تبين يحتاج - بعد توفيق الله - إلى أنفس تقتحم العقبة في سبيل التزامه، والتخلص مما هي عليه من فتنة الشبهات والشهوات، وهذا ما لايستطيعه سوى القليل، أما من اتبع هواه؛ فإنه سيكره الحق، وسيحاول التنفير عنه بشتى الوسائل.

٢- ومن الأسباب: الحسد الذي أصاب بعض مدعي العلم في عصر الشيخ، ممن سكت عن البدع والمنكرات التي تمارس بين ظهرانيه - لسبب

---

(١) باختصار وتصرف من «دعاوى المناوئين»؛ للدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف (ص ٧٠ - ٧٦)، و«إسلامية لا وهابية»؛ للدكتور ناصر العقل (ص ١٥٩ - ١٦٥)، و«انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية»؛ للأستاذ محمد كمال جمعة (ص ٥٢ - ٥٤)، مع زيادات.

ما -، واقتات على أموال الناس، فلما جهر الشيخ بدعوته، وبين الحكم الشرعي في تلك المنكرات، وذلك المال الذي يتأكله بعض أدعياء العلم من العامة؛ حسدوه على هذا الفضل الذي اختصه الله به، وامتزج حسدهم بحقد بسبب كشفه لحالهم، مما ألجأهم إلى تشويه دعوته، والافتراء عليه - كما سيأتي نموذج لأحدهم إن شاء الله -.

٣- ومن الأسباب: ما كان عليه أولئك الخصوم وبعض المنتسبين إلى الإسلام قبل دعوة الشيخ من الضلال والغي عن الصراط المستقيم، حيث بلغوا أحط الدركات في فساد الاعتقاد، وعمَّ الجهل وطغى، فعبد غالب المسلمين ربهم بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير، فظهرت البدع والشركيات بمختلف أنواعها، وصارت هذه الأمور الشركية والمحدثات البدعية من العوائد والمألوفات التي هرم عليها الكبير وشب عليها الصغير، فانعكست الموازين وانقلبت الحقائق، وأصبح الحق باطلًا، والباطل حقًا.

ويوضح ابن غنام الحالة السيئة التي وصل إليها المسلمون في مختلف البلاد، وما كانوا عليه من فساد الاعتقاد واستفحال الكفر والابتداع، فيقول رحمه الله: «كان غالب الناس في زمانه متضمخين بالأرجاس، متلطخين بوضر الأنجاس، حتى قد انهمكوا في الشرك بعد حلول السنّة المطهرة بالأرماس، وإطفاء نور الهدى بالانطماس فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين، وخلعوا ربقة التوحيد والدين، فجدوا في الاستغاثة بهم في النوازل والحوادث. . . أحدثوا من الكفر والفجور والإشراك بعبادة أهل القبور وصرف الدعاء لهم والنذور»[(١)].

---

(١) روضة الأفكار (١/ ٥ - ٦) باختصار.

فلما أظهر الله هذه الدعوة السلفية على يد المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب استنكرها الرعاع وأدعياء العلم والعوام، لأنها خالفت عوائدهم الشركية ومألوفاتهم البدعية، فلما دعاهم الشيخ إلى وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة وأنه لا يُدعى ولا يُستغاث إلا بالله وحده، فلا يُستغاث بالأولياء أو الأنبياء، استنكر أولئك الجهال هذا الحق، وزعموا أن ذلك انتقاص للأنبياء والأولياء، فخالفوا الحق مع ظهوره وبيان أدلته، ووضوح براهينه، وأُسقط في يد بعضهم عندما بهرهم نور الحق الذي لم يقدروا على مواجهته؛ فلجأوا للأكاذيب والافتراءات.

٣- ومن الأسباب: النزاعات السياسية والحروب التي قامت بين أتباع هذه الدعوة وبين الأتراك من جهة، وبين أتباع هذه الدعوة وحكام الحجاز من جهة أخرى. ومن ورائهم جميعًا: الإنجليز الذين يسوؤهم أن يعود المسلمون إلى دينهم الصحيح؛ فيعود لهم مجدهم، فينتفضوا على من نهب ديارهم وأموالهم.

وقد أشار بعض الباحثين إلى هذا العامل السياسي الخطير وما ترتب عليه من تلك المطاعن والمفتريات والشبهات.

يقول الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله عن السياسة نقلًا عن أحد الكتاب:

«إذا احتاجت السياسة إلى قلب الحقائق وإظهار الشيء بخلاف ما هو عليه؛ اتخذت لذلك جميع الأسباب، واستعانت على ذلك بمن لهم منافع شخصية من وراء إعانتها، فتنجح إلى حين في تعمية الحق على كثير من الخلق. ومن هذا القبيل ما كان يطرق آذان الناس في مصر والشام والعراق

وسائر بلاد الشرق الأدنى في المائة السنة الماضية من تسمية الدعوة التي دعا بها الشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب رحمه الله باسم (الوهابية)، اتهامًا بأنه مذهب جديد»[(١)].

ويتحدث محمد عبد الله ماضي عن العوامل التي أدت إلى التشنيع على دعوة الشيخ؛ فيذكر العامل السياسي فيقول: «عامل سياسي يرجع إلى الخلاف الذي قام بين آل سعود وبين الدولة العثمانية.. ذلك الخلاف الذي سبب الحرب النجدية المصرية بين محمد علي وأنصار الدعوة، والذي صحبه وترتب عليه كثير من الدعايات ضدهم، وإظهارهم بمظهر المعتدي على الدين، الخارج على تعاليمه؛ حتى تسهل مقاومتهم وتيسر القضاء عليهم.

وكذلك الخلاف السياسي بين آل سعود وبين أشراف مكة، ثم بينهم وبين زعماء نجد المحليين»[(٢)].

ويوضح الشيخ محمد رشيد رضا آثار العداء السياسي مع بداية الدولة السعودية الثالثة، وما فعله حكام الحجاز ضد الدعوة السلفية، فكان مما قاله: «كانت جريدة القبلة - لسان الملك حسين آنذاك - تكيل التهم والأكاذيب على هذه الدعوة السلفية.

وقد أصدر الملك حسين عدة منشورات في جريدة القبلة سنة **١٣٣٦**هـ، وسنة **١٣٣٧**هـ، رمى أنصار الدعوة السلفية بالكفر، وقذفهم بتكفير أهل

---

(١) مجلة الزهراء، صفر، ١٣٥٤هـ، (ص ٨٤ - ٨٥). وقد أشار إلى ذلك مسعود الندوي في كتابه «محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه» (ص ١٤٧).

(٢) النهضات الحديثة في جزيرة العرب، (ص ٥٩).

السنة، والطعن في الرسول. . . وقام بعض أهل دمشق وبيروت يتقربون إلى الأشراف بطبع الرسائل في تكفيرهم ورميهم بالأكاذيب، ثم سرى ذلك إلى مصر، وظهر له أثر في بعض الجرائد»[(١)].

«إن سبب قذف أنصار الدعوة السلفية بالابتداع والكفر سياسي محض، كان لتنفير المسلمين منهم؛ لاستيلائهم على الحجاز، وخوف الترك أن يقيموا دولة عربية، ولذلك كان الناس يهيجون عليهم تبعًا لسخط الدولة، ويسكتون عنهم إذا سكنت ريح السياسة»[(٢)].

٤- ومن الأسباب: دفاع خصوم الدعوة - وبالأخص الصوفيّة والرافضة - عن معتقداتهم الفاسدة وآرائهم الباطلة. فإنه لما غلب على حال كثير من المسلمين ظهور الشركيات وانتشار البدعيات، واستفحال الخرافات، والغلو في الأموات والاستغاثة بهم، وظهور تشييد المشاهد وإقامة المزارات على القبور، وزخرفتها وتزيينها وصرف الأموال الطائلة عليها فلما غلب ذلك على حال عامة المسلمين، فإن هؤلاء المتصوفة والرافضة وجدوا في هذا الواقع الآسن مرتعًا خصبًا لبثِّ سمومهم العقديّة.

فلما بدت أنوار هذه الدعوة تكشف غياهب الظلام، وتزيل أدران الشرك ونجاساته، وتدعو الناس إلى تحقيق التوحيد بصفائه ونقائه، أدرك الخصوم أن ظهور هذه الدعوة السلفية نذيرٌ بزوال عقائدهم الباطلة، فحشد أولئك الخصوم قواهم وانبروا في التشنيع بهذه الدعوة وأنصارها، وهم أثناء تشنيعهم يذكرون معتقدهم الصوفي أو الرافضي - وغيرهما - ويزينونه

---

(١) المنار، م٢٤، ج ٨، (ص ٥٨٤) بتصرف.

(٢) المرجع السابق.

للناس ويزعمون أنه الحق[١].

هذه بعض الأسباب الظاهرة لشدة عداوة الخصوم للدعوة السلفية، ومحاولة تشويهها بالأكاذيب والافتراءات.

❑ ❑ ❑

(١) من خلال استقراء كتب الخصوم، يُلاحظ أن غالبهم إما صوفية أو رافضة.

المبحث الثاني
نماذج متنوعة للكذب
على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

لقد تنوعت مقاصد الكاذبين على دعوة الشيخ محمد رحمه الله، لكن اتحد هدفهم في تشويه هذه الدعوة السلفية المباركة، التي تُمثل الإسلام الصحيح الذي يُخالف إما كفرهم، أو بدعهم وأهواءهم. وإليك نماذج من هذا الكذب المتنوع الذي أحاط بالدعوة من جوانبها، إلا أن الله بحكمته وفضله، أظهر نورها، ولو كره المناوئون.

أولًا: كذب الكفار: «رحلة الصايغ الحلبي النصراني»:

هي رحلة زعم صاحبها «فتح اللّه الصايغ الحلبي»[(١)]، وهو شاب نصراني في العشرينات من عمره أنه قام بها إلى الدرعية زمن الإمام سعود بن عبدالعزيز - رحمهما الله -، وقد شكك في هذه الرحلة الشيخ أحمد بن حسن بن رُشيد الحنبلي (ت١٢٥٧هـ) أحد علماء المتأثرين بالدعوة السلفية[(٢)]، وهو الخبير بالدرعية وناسها؛ إذ كان مقيمًا فيها عند سقوطها على يد الطاغية إبراهيم باشا، ثم نُقل إلى القاهرة، فتولى التدريس في القلعة ، وفي الأزهر، وبقي في القاهرة حتى توفي. فقد عُرض عليه ماقاله الحلبي عن الدرعية وعن الإمام سعود، فكتب: «نظر فيها الفقير إلى مولاه

---

(١) انظر ترجمته في «الأعلام» (٥/ ١٣٤).

(٢) انظر ترجمته في «علماء نجد»؛ للبسام (١/ ٤٥٧).

العلي، أحمد بن رُشَيْدٍ الحنبلي، فوجد صاحبها لم يصدق في شيء مما أخبر عنه، لا في وصف سعود، ولا كلامه ولا أفعاله، ولا صدق من جهة وصف الدرعية، ولا عادات جماعات سعود وعزائمهم، ولا أسماء الوزراء، ولا أبو مسلم، ولا الحضرموتي، ولا هيدل، ولا في عدد أقارب سعود ولا أولاده، ولا في طعامه ولا في مال الحجرة - أربعين الجمل تحمل الجواهر خاصة -، ولا في قوله: إنَّ أهل المدينة وأهل مكة واليمن يأتون إلى الدرعية في كل أربعاء للسوق، وخروج النسوة، ولا أرى هذا الرجل إلا كذاب مزوّر، أَشِرُ بَطِر، ولنا صاحب من أكبر أهل الدرعية، ابن للشيخ الوهابي، موجود الآن تحت سفرية أفندينا الخديوي، اسمه إبراهيم، ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب[١]، من المشايخ الركّع العبَّاد العلماء، لماعرضت عليه كلام هذا النصراني، رأى مثل ما رأيتُ، وكذَّبَه مثل ما كذبته، وأخبر أن الدُّرَيْعِي ما قدم الدرعية، لا في أيام سعود ولا في أيام أبيه عبد العزيز ولا في أيام أبنه، وقد أشرتُ في الكتابة بتكذيبه باختصار، وهذه إشارة بالإجمال، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلاّ باللَّه العلي العظيم وصلى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم»[٢].

---

(١) انظر ترجمته في «علماء نجد»؛ للبسام (١/ ٤١٧).

(٢) رحلة فتح الله الصايغ الحلبي، تحقيق: الدكتور يوسف شلحد، الملحق (ص ٢٩٠ - ٢٩١). وقد اعترف الدكتور شلحد (ص ١٨)- رغم محاولته توثيق رحلته - بأن «الناقد على حق إذا شك في صحة أقواله، ونسب عددًا منها إلى الخيال». وانظر: «مجلة العرب» (ج ٣، ٤س١٩، ١٤٠٤هـ). وقوله: «للشيخ الوهابي» تنزلٌ مع من يخاطبهم، وإلا فهو قد وصفه بـ«شيخ الإسلام».

قلت: ثم بيّن الشيخ أحمد بتعليقات موجزة بعض كذب الصايغ النصراني.

وقال الدكتور عبدالله المطوع: «زعم رحالة سوري يدعى فتح الله الصايغ الحلبي أنه زار الدرعية في حدود سنة ١٢٢٨هـ، ولكن لم يرد في ملحوظاته ذكر لأي حي من أحياء الدرعية، مع أنه زارها. إذا صح ذلك. في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز، أي في عصرها الذهبي.

تثار مشكلة حول مصداقية الصايغ في هذه الرحلة، وخاصة الجزء المتعلق بزيارة الدرعية، وسنكتفي للتدليل على ذلك بثلاثة أمثلة:

١- ذكر بأن الحاكم عند زيارته للدرعية كان الإمام عبدالله بن سعود، كما يتضح ذلك من الرسالة التي زعم أن ذلك الإمام كتبها، ونقلها الصايغ حرفيًا، أو كما قال: «هذه الألفاظ لا غير»، ولكن ما ذكره من معلومات تدل على أن مجيئه. إذا صح ذلك. كان في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز!

٢- ذكر بأنه تناول العشاء مع أمير عسير عبدالوهاب أبو نقطة، ومن المعلوم أن أبانقطة قُتل في معركة وادي بيش سنة ١٢٢٤هـ!

٣- ومما يؤخذ عليه، ويدلل على التناقض الذي وقع فيه، قوله عندما يستعد مع رفاقه لمغادرة الدرعية: «وصل مرسول يُخبر بخروج قوات محمد علي من ينبع بكل نظام وقوة نحو المدينة لامتلاكها»، ومن المعلوم أن وصول قوات طوسون باشا إلى ذلك الميناء كان في سنة ١٢٢٦هـ، وهو العام نفسه الذي حصلت فيه معركة الخيف أو كما تسمى معركة وادي الصفراء، بقيادة الأمير عبدالله بن سعود - أي قبل وفاة والده بثلاث سنوات -.

في ضوء هذه المآخذ وغيرها، يصعب تبرير مثل هذه الأخطاء والتناقضات التي لا يمكن قبول الالتباس حولها من شخص يزعم أنه زار الدرعية وبقي فيها عدة أيام، ناهيك عن أنه لا يذكر اسم أي حي من أحيائها، وخاصةً الحيين الشهيرين: الطريف والبجيري. وبناءً على ما أوردناه من ملاحظات ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ـ، فإن من المرجح أن الصايغ لم تطأ قدماه أرض الرعية، بل سمع عنها، وجمع معلوماته ممن زارها من التجار وغيرهم الذين يترددون ما بين بلاد الشام ونجد»(١).

قلت: ومن كذبات الحلبي المبتذلة الرخيصة؛ محاولته تشويه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بقوله السخيف عن الإمام سعود: «أما بخصوص صلاته؛ فهو يتوضأ ويصلي مثل المسلمين.. غير أنه لا يستقبل جهة مكة كمثل المسلمين.. أما بخصوص محمد فهو لا يُبغضه ولا يُحبه»(٢)!!

ثانيًا: الكذب السياسي: كتاب «لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب»:

قال الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ رحمه الله، في مقدمة تحقيقه للكتاب: «الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وعلى آله وأصحابه أهل الصدق والوفا. وبعد؛ فهذا كتاب (لمع الشهاب في سيرة

---

(١) مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى (ص ٢٩ - ٣٢) - بتصرف يسير -.
(٢) رحلة الصايغ الحلبي (ص ٢٦٥ - ٢٦٦). وقد علّق الشيخ حمد الجاسر رحمه الله في الهامش بما يُبين هذا الكذب السخيف، الذي لم يعد ينطلي على عاقل.

محمد بن عبدالوهاب)، ألفه رجل مجهول حوالي سنة ١٢٣٣هـ، وجاء في آخره ما يفيد أنه بخط شخص يُدعى حسن بن جمال بن أحمد الريكي، ومن الجائز أن يكون هذا الكاتب هو المؤلف، وعلى الغرض فهو نكرة مجهول، كما قيل:

سألنا عن ثُمالة كلَّ حي فقال القائلون ومَن ثُمالة؟
فقلنا محمد بن يزيد منهم فقالوا الآن زدت بِه جَهالة!

وقد وصل هذا الكتاب مخطوطًا إلى المتحف البريطاني بلندن عام ١٨٦٠م، ومضت الأيام، وتعاقبت الأعوام، وهو باقٍ في المتحف، ولما كان سنة (١٩٦٧م) قامت دار الثقافة ببيروت بنشره بمطابع (بيبلوس) الحديثة في بيروت، في شهر (مايو) سنة ١٩٦٧م، فخرج إلى عالم المطبوعات. فلما وقف عليه المسؤولون في دارة الملك عبدالعزيز، وعلى رأسهم معالي الشيخ حسن ابن الشيخ عبدالله آل الشيخ، واطلعوا على ما جاء فيه من التجني والكذب على شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب؛ رأوا أن الواجب الديني والتاريخي يُحتّمان القيام بإعادة طباعته، والتعليق عليه، بما يكشف كذب مؤلفه، ويدحض باطله، لذا أمرتني دارة الملك عبدالعزيز ممثلة في شخص معالي الشيخ حسن ابن الشيخ عبدالله، بالقيام بالتعليق عليه، والرد على ما جاء فيه من المفتريات والأكاذيب؛ فامتثلت الأمر شاكرًا لمعاليه هذه الثقة العلمية، راجيًا أن أكون بعون الله وتوفيقه عند حُسن ظنه.

فبدأت العمل، وقرأت الكتاب المشار إليه من أوله إلى آخره، فوجدته مملوءًا بالكذب، ومشحونًا بالبُهت، ومشتملًا على هذيان يشبه هذيان

المجاذيب والصبيان، ووجدت جميعَ ما ذكر مؤلفه عن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب نسجَ خيال، وافتراءً واضحًا، صاغه هذا المؤلف المنحرف في قالب الأخبار، وصبغه بصبغة التاريخ، أكد أحيانًا فيه الذم بما يُشبه المدح، تمويهًا وإيغالًا في التضليل والترويج، فاستعنت الله ومضيت في التعليق عليه بما يكشف جهله، ويدحض باطله، ويعلم الله أني لاقيت من تنوع هذا المؤلف في البهت، واندفاعه في الهذيان الذي لا ضابط له، ولا ساحل لبحره، جُهدًا وعناءً كبيرًا، وصعُب عليَّ ملاحقته في كل صغيرة وكبيرة من هذيانه وسخفه، فحصرت جهدي في رد أكاذيبه التي افتراها على شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، ولم أتعرض لما عدا ذلك من أخطائه الفظيعة، وأقواله السخيفة، إلا ندرًا»[١].

قلت: وللإحاطة بمجمل محتويات الكتاب، فقد أفاد مؤلفه الريكي في مقدمة كتابه[٢] بأنه: «مرتب على خمسة أبواب وخاتمة:

الباب الأول: في بدء أمر الشيخ النجدي، وبيان أحواله وما هو عليه قبل الابتداع[٣] وإظهار نسبه وحسبه.

---

(١) مقدمة «لمع الشهاب» (هـ - و).

(٢) (ص ٣ - ٤).

(٣) قال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ رحمه الله: قوله: (الابتداع)، وقوله أيضًا: (في بيان بدعته)، هاتان الكلمتان أراد بهما هذا المؤلف المنحرف قلب الحقائق، وتشويه دعوة الإسلام الصحيح، التي قام بتجديدها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وإلا فالشيخ محمد رحمه الله متبعٌ لا مبتدع، دعا الناس في زمنه إلى ما دعا إليه النبي محمد ﷺ؛ من إخلاص العبادة لله، ونبذ الشرك والبدع وسائر المحرمات، وقد عرف المنصفون في جميع بقاع الأرض أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هي الحق الذي لا مرية =

الباب الثاني: في بيان بدعته وسبب شيوعها في أرض نجد، وموافقة محمد بن سعود له بادئ الأمر.

الباب الثالث: في بيان نسب محمد بن سعود وحسبه، وما كان عليه قبل اتباع محمد ابن عبدالوهاب.

الباب الرابع: في سلطنة محمد بن سعود، وابنه عبدالعزيز، وولديه: سعود وعبدالله ابن سعود بعده، وابتداء حكومتهم في نجد ونواحيها، بدوًا وحضرًا، وأسماء القبائل التي هناك، وبيان تسخير بلاد بني خالد والأحساء والقطيف والبحرين وقطر وعُمان الصير وبعض بلاد عمان الظاهرة والباطنة، وحروبهم وغزوهم أطراف العراق والشام وحلب.

الباب الخامس: في بيان تملكهم الحجاز والتهامة وبلاد اليمن، وبيان حدود بلاد نجد والحجاز وتهامة واليمن وأرض بني خالد وقطر وعمان، وما يتعلق بذلك من أسماء قبائل الحجاز وتهامة واليمن وعمان، وأسماء شعوب بني خالد، وما كانوا به من الرياسة قبل ظهور محمد بن سعود.

وأما الخاتمة[1]: فهي بيان جملة من فروع مذهب محمد بن عبدالوهاب وبعض أصوله».

= فيه، وأنها عين ما دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب، فلا عبرة بهذَيان هذا المؤلف المنحرف، عامله الله بعدله، ورحم الله شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، وجزاه عن إظهاره الحق وإرشاده للخلق خير الجزاء، إنه سميع مجيب.

(١) قال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ رحمه الله: قوله: (وأما الخاتمة فهي في بيان جملة من فروع مذهب محمد بن عبدالوهاب وبعض أصوله)، تضليل وتلبيس؛ لأن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله لم يدعُ إلى مذهب، وإنما دعا إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه الرعيل الأول من الصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم =

قلت: وقد أجاد الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ رحمه الله في تعقب افتراءات مؤلف الكتاب، من خلال تعليقاته العلمية على الكتاب، ثم فعل مثله الدكتور عبدالله العثيمين عندما حقق الكتاب مؤخرًا[١]. وأنقل هنا شيئًا من افتراءات الريكي، مع رد الدكتور محمد السكاكر عليها، ضمن كتابه «الإمام محمد بن عبدالوهاب - حياته - آثاره - دعوته السلفية»[٢]، قال - وفقه الله -:

«افتراءات صاحب كتاب «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب» والرد عليها»:

هذا الكتاب لم يُعرف مؤلفه على وجه اليقين.

وغاية ما هنالك أنه كُتب في الصفحة الأخيرة من مخطوطته النص التالي:

«وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب في يوم السبت السادس والعشرين من شهر محرم الحرام سنة ثلاث وثلاثين بعد المائتين والألف، كتبه الجاني

= أجمعين، والشيخ محمد في فروع الأحكام الاجتهادية على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، غير أنه لا يتعصب له، ولا يُقدم قوله على قولٍ يعضده الدليل، وفي باب أسماء الله وصفاته ونعوت جلاله على ما كان عليه السلف الصالح؛ كالإمام أحمد بن حنبل وغيره من علماء السلف؛ يصف الله ﷻ بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ، من غير تحريف ولا تكييف، ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل ولا تمثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

(١) وقال الشيخ عبدالله بن خميس في مقال له عن كتاب الريكي، بأنه «مجموعة من التخيلات». انظر: «جهاد قلم» (ص ٣٥ - ٤٤).

(٢) (ص ١٨٥ - ٢٠١).

حسن بن جمال بن أحمد الريكي»[١].

فلا يُعلم هل هذا الكاتب هو المؤلف أم أنه ناسخ له كعادة النساخ يذيلون ما يخطونه بأسمائهم؟

وقد حُقق الكتاب مرتين، أولاهما من قبل الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة، الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة الأردنية، وقد طُبع في مطابع دار الثقافة ببيروت عام ١٩٦٧م.

والأخرى من قبل الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد طبعته دارة الملك عبدالعزيز في الرياض عام ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

أما أبو حاكمة فلم يذكر شيئًا عن شخصية مؤلفه، ولعله لم يظهر له ما يدل عليه؛ فآثر العدول عنه والاشتغال في الكتاب، إذا هو بيت القصيد.

وأما المحقق الثاني الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف، فكثيرًا ما يردد جملة: «المؤلف النكرة».

وقد جاء في مقدمة تحقيقه النص التالي:

«وبعدُ؛ فهذا كتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب) ألفه رجل مجهول، حوالي سنة ١٢٣٣هـ، وجاء في آخره ما يفيد أنه بخط شخص يُدعى حسن بن جمال بن أحمد الريكي. ومن الجائز أن يكون هذا الكاتب هو المؤلف، وعلى الفرض فهو نكرة مجهول»[٢].

---

(١) «لمع الشهاب»؛ تحقيق: أحمد أبوحاكمة، (ص ١٩٩).

(٢) «لمع الشهاب»؛ تحقيق: الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف، (ص: هـ).

أما الشيخ حمد الجاسر؛ فيرى أن حسن جمال الريكي هو المؤلف لهذا الكتاب.

يقول: «وهو كتاب أُلف حوالي سنة **١٢٣٣**هـ، كتبه شخص يدعى حسن بن جمال بن أحمد الريكي، نسبة إلى ريك أو ريق أو ريج بالجيم»، كما يرى أنه ألفه استجابة لرغبة أحد موظفي الإنجليز في الخليج، ويُعلل ذلك بأن الكتاب يحوي ثناء على الإنجليز في الخليج، ووصفًا لأعدائهم من العرب في الشارقة وغيرها بأوصاف كان موظفو الإنجليز في ذلك العهد يطلقونها عليهم، وهي غير صحيحة»[(١)].

والكتاب لا يتحدث عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب فقط كما جاء في عنوانه، وإنما تناول فيه مؤلفه بعضًا من أحوال الدولة السعودية الأولى وحروبها، وذكر طرفًا من حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أكثرها مخالف للصواب.

كما تناول الكتاب أيضًا حدود نجد، وقبائلها، وطباع أهلها، ومعاشهم، وتحدث عن الحجاز واليمن، وأعرابهم وأنسابهم، وعن بلدان الخليج العربي، وقبائلها.

فالكتاب في جملته عبارة عن تاريخ للجزيرة العربية وأهلها، لا عن سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

والذي يعنينا في هذا الكتاب ما أورده صاحبه في آخره من شُبه وافتراءات على الشيخ محمد، فقد جاء في خاتمته مجموعة من الانتقادات

---

(١) مجلة العرب، ج١٠، ١٣٩٠هـ، ص ٩٤٠ .

زعم فيها أن الشيخ محمدًا قد ابتدعها، وخالف فيها علماء المسلمين، وقد قسّم هذه الانتقادات إلى قسمين:

القسم الأول: يتعلق بأصول العقيدة طرح فيه ثمان مسائل، وأخذ يناقشها مسألة مسألة.

وكان كلامه في كل مسألة عبارة عن مغالطات، تنم عن عدم معرفته بأصول الدين الإسلامي، وكلام أصحاب هذه الصناعة من السلف والخلف، ووهمه فيها ظاهر جلي.

وقد وُفق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ. محقق الكتاب في الرد على هذه المسائل.

أما القسم الثاني من هذه الانتقادات: فزعم المؤلف لهذا الكتاب أنها تتعلق بالفروع التي مشى عليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب على غير مذهب الإمام أحمد ابن حنبل، وقد جعل هذا القسم في أربع مسائل.

ومع أن الشيخ عبدالرحمن قد علق على أكثر هذه المسائل، ورد عليها ضمن تحقيق الكتاب، إلا أننا نشير إليها هنا بشيء من التفصيل؛ إتمامًا للفائدة؛ لئلا يغتر بها من يطلع عليها؛ لأن هذا الكتاب ينقل عنه من لا يعرف حقيقة الدعوة السلفية، ظنًا منه أن ما ذكر فيه هو الصواب، وهو خطأ محض، وكذب ظاهر.

فيقول في المسألة الأولى: ومما أوجبه محمد بن عبدالوهاب على الناس عينًا الصلاة جماعة، ولم ينقل هذا عن مذهب الإمام أحمد، ولا غيره.

ومما أفتى به تحريم التتن ووضع له حدًا في الشرع من ضرب قدر أربعين

سوطًا أو أقل أو حلق لحيته أو سب حسب ما يقتضي رأي القاضي من أحد هذه الثلاثة.

والجواب على ذلك نقول:

أما وجوب صلاة الجماعة فلم تكن رأيًا خاصًا للشيخ محمد بن عبدالوهاب. ، بل هو رأي جمهور أهل العلم، حتى ذهب بعضهم إلى أن الجماعة شرط في صحة الصلاة مع القدرة، وقد اعتمدوا في هذا على نصوص صريحة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ الآية. [سورة النساء، ١٠٢].

فإذا كان المسلمون مأمورين بإقامة صلاة الجماعة وهم في أشد الخوف بمواجهة عدوهم؛ فإن إقامتها في حال الأمن والاستقرار من باب أولى، فهي من آكد الواجبات وأجل الطاعات.

وقال الحافظ ابن كثير. : «وما أحسن ما استدل به من ذهب إلى وجوب الجماعة في هذه الآية، حيث اغتُفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة، فلولا أنها واجبة لما ساغ ذلك..»(١).

ويقول الرسول ﷺ: «**والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيُحتطب، ثم آمر بالصلاة فيُؤذَّن لها، ثم آمر رجلًا فيؤم الناس، ثم أُخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرِّق عليهم بيوتهم بالنار**»(٢).

وقد جاء إلى رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم، وكان رجلًا أعمى فقال: يا

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٤٧).

(٢) أخرجه: البخاري (٦٤٤).

رسول الله، أنا ضريرٌ، شاسعُ الدار، ولي قائد لا يلائمني، فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ فرخص له، فلما ولّى دعاه فقال: «**هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال: نعم، قال: فأجب، وفي لفظ: فإني لا أجد لك رخصة**»(١).

وسئل ابن عباس ﷺ عن رجل يقوم الليل ويصوم النهار، ولا يحضر الجماعة، فقال: «**هو في النار**»(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من تأمل الكتاب والسنة وما كان عليه السلف حق التأمل، علم أن فعلها في المسجد فرضُ عين إلا لعذر»(٣).

فهذه الأدلة الصحيحة صريحة في وجوب صلاة الجماعة، وأنها من أعظم شعائر الإسلام الظاهرة، فهل كان رأيًا انفرد به الشيخ محمد بن عبدالوهاب؟ أم هو معتقد سلف الأمة الإسلامية وخلفها؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وصلاة الجماعة اتفق العلماء على أنها من أوكد العبادات، وأجل الطاعات، وأعظم شعائر الإسلام»(٤).

وأما قول المعترض: ولم ينقل هذا عن مذهب الإمام أحمد ولا غيره.

فهذا محض افتراء، فقد نقل الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني علامة اليمن الخلاف في هذه المسألة، فقال رحمه الله: «وإلى أنها فرضُ عين ذهب

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٣).

(٢) تنبيه الغافلين؛ للسمرقندي (ص ١٠٢).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٣/ ٢٢٥).

(٤) المرجع السابق (٢٣/ ٢٢).

عطاء والأوزاعي، وأحمد، وأبوثور، وابن خزيمة و. . و. . . إلخ»[١].

وقد عقد الإمام البخاري ـ لها بابًا في صحيحه، فقال: «باب وجوب صلاة الجماعة»[٢].

وسئل أحد أئمة الدعوة السلفية عن وجوبها فأجاب: «اختلف العلماء في وجوبها. . . والمشهور عن أحمد وغيره من فقهاء الحديث أنها واجبة على الرجال المكلفين حضرًا وسفرا»[٣].

فمن هذه النصوص الصريحة الصحيحة يظهر أن وجوب صلاة الجماعة للصلوات الخمس دليله الكتاب والسنة والآثار المروية عن كبار الأئمة، وعمل المسلمين إلى اليوم، لاكما توهمه هذا المعترض.

ولو بسطنا القول في هذه الشعيرة الظاهرة من شعائر الإسلام، وجمعنا كل ما قيل فيها وما ورد في فضلها لاستغرق ذلك وقتًا، وضم سِفرًا كبيرًا.

وأما المسألة الثانية، وهي:

قوله: «ومما أفتى به تحريم التتن، ووضع له حدًا في الشرع من ضرب قدر أربعين سوطًا. . إلخ:

فالجواب أنه لم يُنقل عن الشيخ محمد ـ فتوى في حكم شرب الدخان (التتن) على التفصيل الذي ذكره هذا المعترض، بل حينما بلغه أن أناسًا من أعداء الإسلام يذكرون عنه أنه يُكفر بالذنوب؛ أجاب ﷺ بما نصه: «يذكر

(١) سبل السلام (٢/ ١٩).
(٢) فتح الباري (٢/ ٢٦٦).
(٣) الدرر السنية (٤/ ١٩٠).

لنا من أعداء الإسلام من يذكر أنّا نكفر بالذنوب؛ مثل شرب التتن، وشرب الخمر، والزنا، وغير ذلك من كبائر الذنوب، فنبرأ إلى الله من هذه المقالة»[١].

فنفى رَحِمَهُ اللهُ التكفير بسبب هذه الذنوب.

أما شرب التتن (الدخان) فهو عادة خبيثة، وفعلة رذيلة ومضاره الصحية والمالية معلومة يعترف بها شاربه.

والشارع نهى عنه كل ما فيه ضرر على الأبدان والأموال، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

والتتن ضرره على الأجسام ظاهر، فقد أكد الثقات من الأطباء أن شربه يورث الإصابة بالتدرن الرئوي، والأمراض الصدرية.

وأما ضرره على الأموال؛ فهو صرف لها بدون فائدة ولا منفعة، فهو تبذير وإسراف، وهذا منهي عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾.

وهو أيضًا مُفَتر للأجسام وقد نهى الرسول ﷺ عن كل مُفتر، فقد روى الإمام أحمد. عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومُفَتر»[٢].

فلو سألتَ شاربه هل هو من الطيبات أو من الخبائث؟ فحينما يصدقك يقول: إنه من الخبائث، والخبائث محرمة بنص القرآن، قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾.

وبناءً على هذه الأدلة تناوله العلماء المتأخرين بالبحث والمناقشة؛ لكونه

(١) المرجع السابق (٨/ ٢٠٧).

(٢) أخرجه: الإمام أحمد في المسند (٢٦٦٧٦) وأبو داود (٣٦٨٦)، وضعفه الألباني.

لم يُعرف في بلاد الغرب إلا خلال القرن السادس عشر الميلادي، ثم جعل ينتشر وينتقل حتى وصل إلى بلاد الشرق.

وشرب الدخان بدعة سيئة صح تحريمه من أربعة أوجه:

١- كونه مضرًا بالصحة، بإخبار الأطباء المعتبرين.

٢- كونه من المخدرات والمُفَترات.

٣- كون رائحته كريهة تؤذي الناس الذين لا يستعملونه.

٤- كونه سرَفًا وتبذيرًا للمال.

يقول الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «وبما ذكرنا من كلام رسول الله ﷺ وكلام أهل العلم؛ يتبين لك تحريم التتن الذي كثر في هذا الزمان استعماله»[١].

وللدكتور صالح بن عبدالعزيز المنصور رسالة[٢] تبحث في حكم شرب الدخان، ساق فيها الأدلة وكلام العلماء على تحريمه.

وممن صرح بتحريمه أيضًا مفتي الديار السعودية في وقته، سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ ،، وقد ألف فيه رسالة ذكر فيها أقوال العلماء فيه.

هذه آراء علماء الإسلام في حكم شرب الدخان، وهي آراء كلها تتفق على تحريمه، إذًا فما الذي يؤخذ على إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إذا أفتى بتحريم التتن؟ مع أنه لم يتكلم فيه بشيء سوى ما سبق ذكره.

---

(١) المرجع السابق (٦/ ٤٥٣).

(٢) عنوانها: «الدخان في نظر الإسلام».

يقول الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ محقق كتاب «لمع الشهاب»: «اجتهدت في أن أقف على كلام لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في التتن أو مماثله، فلم يتيسر لي الوقوف على كلام للشيخ في ذلك»[(١)].

فما دام أنه لم يصدر من الشيخ محمد. فتوى في التتن، فكيف يضع له حدًا في الشرع، كما يزعم هذا المعترض.

ثم لو فرضنا جدلًا أن الشيخ محمد وضع لشارب الدخان الحد المشار إليه، فإن ضرب شاربه أربعين سوطًا يصح قياسًا على حد شارب الخمر؛ لوجود علة الإسكار والتفتير، إذ لا يوجد نص شرعي في حكم شاربه، لحدوث اكتشافه واستعماله.

أما حلق لحيته كما يدعي هذا المفتري، فإن العقل السليم الخالي من الهوى لا يقبل هذا، إذ كيف ينهى عن عمل محدَث، ويعاقب عليه بمعصية محرّمة بنص كلام رسول الله ﷺ؟

فقد قال ﷺ في الحديث الشريف: «**أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى**»[(٢)].

ثم إن الشرع قد حكم على من اعتدى على لحيته إنسان فأزال شعرها بالكلية، على وجه لا يرجى عوده بالدية كاملة[(٣)].

فلولا مكانتها من الشرع لما حُكم عليه بالدية كاملة، وجعلها في مقابلة

(١) لمع الشهاب، تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، (ص ٢١٥).
(٢) رواه مسلم (٢٥٩).
(٣) انظر: «المغني»؛ لابن قدامة (١٢/ ١١٨)، و«الفتاوي السعدية»؛ للشيخ عبدالرحمن السعدي (١/ ١٢٥).

البدن جميعه، فكيف يُعاقب الشيخ محمد من شرب الدخان بحلق لحيته؟! هذا بعيد كل البعد، لكن هذا المفتري يهذى هذيان المحمومين، فلا يدري ماذا يقول.

والمسألة الثالثة: قوله: «وكان يوجب على الناس دفع زكاة أموالهم الباطنة؛ كالنقود ومال التجارة إلى الإمام، أي سلطان المسلمين، وهو يفرقها لمستحقيها، وكان يأمر بالتجسس عما عند الناس من الأموال الباطنة؛ ليأخذ الإمام زكاتها قهرًا منهم، مع أن هذا غير المعهود من مذهب أحمد...» إلخ.

والجواب عن ذلك أن نقول: إن الله أنزل في محكم كتابه قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

فأمر تعالى رسوله ﷺ في هذه الآية الكريمة بأخذ زكاة الأموال من الأغنياء وتوزيعها في مصارفها الثمانية، الذين وضحهم الله بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

فدلت الآية الأولى بقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ على أن للرسول ﷺ في حياته ولمن جاء بعده من أئمة المسلمين أخذ زكاة الأموال، ولم تُفرق الآية بين الأموال الظاهرة؛ كالحبوب والثمار والمواشي، وبين الأموال الباطنة؛ كالذهب والفضة وعروض التجارة.

ولهذا قال الحافظ ابن كثير - في تفسيره لهذه الآية: «اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون، وإنما كان هذا

خاصًا بالرسول ﷺ، ولهذا احتجوا بقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾، وقد ردَّ عليه هذا التأويل، والفهم الفاسد أبوبكر الصديق وسائر الصحابة ﷺ، وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة، كما كانوا يؤدونها إلى رسول ﷺ، حتى قال الصديق: والله لو منعوني عناقًا - وفي رواية عقالًا - كانوا يؤدونها إلى رسول ﷺ لقاتلتهم على منعه..»[١].

ويروى أن رجلًا جاء إلى الرسول ﷺ فقال: إذا أديتُ الزكاة إلى رسولك فقد برئتُ منها إلى الله ورسوله؟ فقال الرسول ﷺ: **«نعم إذا أديتها إلى رسولي؛ فقد برئتَ إلى الله ورسوله، فلك أجرها وإثمها على مَنْ بدلها»**[٢].

إن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ قد فهموا من هذه الأدلة مشروعية دفع الزكاة إلى ولي الأمر؛ ليفرقها على الفقراء وفي مصالح المسلمين، ولم يفرقوا بين الظاهر والباطن.

فقد روى ابن أبي شيبة قال: قلت لابن عمر: إن لي مالًا، فإلى مَنْ أدفع زكاته؟ قال: ادفعها إلى هؤلاء القوم ـ يعني الأمراء.. قلت: إذًا يتخذون بها ثيابًا وطيبًا، قال: وإن[٣].

وسئل سعد بن أبي وقاص وأبو هريرة ﷺ عن دفع الزكاة إلى السلطان فقالا: ادفعها إلى السلطان، فقال السائل: هذا السلطان يفعل ما ترون، أفأدفع إليه زكاتي؟ قالا: نعم[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٥-٣٨٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٢٤١٧)، وضعفه الألباني في «تخريج مشكلة الفقر» (ص٧١).

(٣) المرجع السابق (٤/ ١٧٥).

(٤) المرجع السابق (٤/ ١٧٤).

إذا عُلم هذا، فلماذا هذا الاعتراض على الشيخ محمد في هذه المسألة، مادامت محل نقاش بين أهل العلم من السلف والخلف؟!

وقد اجتهدتُ في طلب الوقوف على كلام للشيخ محمد بن عبدالوهاب في هذه المسألة، فلم أظفر بشيء فيما اطلعت عليه، إلا أني اطلعت على كلام لابنيه: عبدالله، وحسين.

فقد سئلا: هل للإمام طلب الزكاة من الأموال الباطنة؟ فأجابا -رحمهما الله-: «هذه المسألة اختلف فيها العلماء، فمنهم من يقول: للإمام أخذ الزكاة من الأموال الباطنة كالظاهرة، ويجب دفعها إليه، وهو قول مالك، وقول في مذهب أحمد. . .، واتفقوا - يعني الأئمة الأربعة - على أن للإمام طلب الزكاة من الأموال الظاهرة، والباطنة، وإنما الخلاف في وجوب الدفع إليه، وهل يجزئ عن صاحبها إذا لم يدفعها إليه أو لا؟»[1].

فكيف يدّعي هذا المعترض أن الشيخ ألزم الناس بدفع زكاة أموالهم الباطنة إلى الإمام؟ فلو وُجد لعُرف ودُوّن؛ فإن رسائله، وفتاواه مبذولة ومنتشرة، وقد حوت الكثير من الأمور الفقهية، فلو كان له كلام في هذه القضية لاشتُهر وعُرف، ولكن شيئًا من ذلك لم يكن.

ثم لو فرضنا جدلًا أن الشيخ محمدًا قال ذلك، فإنه لم ينفرد بهذه الفتوى، بل سبقه إليها فحول الصحابة، ومن سار على نهجهم من أهل العلم، وقد قدمنا رواياتهم وما قالوه في هذه المسألة.

أما دعواه بأن الشيخ كان يأمر بالتجسس عما عند الناس من الأموال

---

(١) الدرر السنية (٢/ ٣٢٤-٣٢٥).

الباطنة؛ ليأخذ الإمام زكاتها قهرًا منهم.

فالجواب أن هذا محض افتراء وكذب على الشيخ محمد، فلم يثبت ذلك بدليل صحيح، ولم يقل به أحدٌ من المؤرخين وأئمة الدعوة، وعلماء نجد الذين وُجدوا بعده، وهم لله الحمد كثر.

والشيخ محمد ـ صاحب مكارم أخلاق، وعفة نفس، وكان يدعو الناس إلى البر والتقوى، ويحث على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله، وقد جاء النهي الشديد عن التجسس والغيبة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾.

فلا يُعقل أبدًا أن يفعل الشيخ هذا، مع ورود هذا النهي الشديد.

قال الشاعر[1]:

لا تنه عن خلق، وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيم

أما دعوى هذا المعترض بأن أخذ زكاة الأموال الباطنة ودفعها إلى السلطان غير معهود في مذهب الإمام أحمد.

فهذا الكلام غير صحيح أيضًا؛ فإن المشهور في مذهب الإمام أحمد جواز ذلك، قال الشيخ منصور البهوتي ـ في كتابه «شرح منتهى الإرادات»: «لا يختلف أئمة المذهب أن دفعها للإمام جائز، سواء كان عدلًا أم غير عدل، وسواء كانت من الأموال الظاهرة أم الباطنة»[2].

المسألة الرابعة: قوله: «وقد حكم بتحريم ذبيحة من قال لا إله إلا الله

---

(١) أبو ذؤيب الهذلي.

(٢) شرح منتهى الإرادات (ص ٤١٨).

محمد رسول الله، وأحلها أحمد بن حنبل اكتفاء بظاهر الإسلام. . . إلخ»[١].

فالجواب عن هذا: أن الشيخ محمد ـ لا يحكم بتحريم ذبيحة من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعمل بمقتضى هذه الشهادة، أما من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، وهو مع هذا مقيمٌ على أعمال الشرك، يدعو أصحاب القبور، ويزور أضرحتهم متبركًا بها، ويطلب منهم قضاء الحاجات، ودفع المضرات؛ كما كان يفعله بعض الناس قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فهذا الصنف من الناس هم الذين حرّم الشيخ ذبيحتهم؛ لأنهم لم يجردوا التوحيد، ويخلصوا العبادة لله وحده.

والمشهور لدى أهل العلم أن المُذكين ثلاثة أصناف:

صنفٌ اتفق العلماء على صحة تذكيته، وهو من اجتمع فيه خمسة شروط:

الأول: الإسلام، والثاني: الذكورية، والثالث: البلوغ، والرابع: العقل، والخامس: المحافظة على شعائر الإسلام؛ كالصلاة والزكاة والصيام ونحوها.

وصنفٌ اتفق العلماء على عدم صحة ذبيحته؛ وهم المشركون عبدة الأصنام؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ وقوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾.

وصنفٌ اختُلف في جواز ذبيحتهم، وهم أهل الكتاب إذا ذكروا عليها اسم الله.

وقد سئل الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ عن حكم من ذبح للجن، فأجاب:

---

(١) لمع الشهاب، تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف (ص ٢١٦).

«إذا فهمتَ هذا، فهم ـ أي أهل العلم ـ صرّحوا أن الذبح للجن ردة تُخرج عن الإسلام، وقالوا الذبيحة حرام ولو سمى عليها، قالوا: لأنه يجتمع فيه مانعان: أحدهما: أنها مما أُهل به لغير الله، والثاني: أنها ذبيحة مرتد لا تحل ذبيحته، وإن ذبحها للأكل وسمى عليها»(١).

كما سُئل الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ـ رحمه الله ـ عن حكم ذبيحة الوثني والمرتد، فأجاب:

«من استدل على ذبيحة الوثني والمرتد بقوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾. فهو من أجهل الناس بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة... - إلى أن قال -: وأما ما ذبحوه تقربًا إلى غير الله؛ فهو حرام، وإن ذُكرت التسمية عليه»(٢).

هذا طرفٌ من أقوال بعض أئمة الدعوة في هذه المسألة، فمن هذا نعرف أن الشيخ محمدًا لم يُحرم ذبيحة من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، عاملًا بمقتضى هذه الشهادة، فلم يدعُ إلا الله، ولم يتوسل إلا بالله، ولم يذبح إلا باسم الله.

أما من توسل بأصحاب القبور، وسألهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وتقرّب إليهم بالذبح والنذر لهم، فهذا الصنف من الناس هم الذين حرّم الشيخ ذبيحتهم، لأنها أُهلت لغير الله، ولم ينفرد بهذا الحكم، بل هو عقيدة أهل السنة والجماعة، وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل، وغيره من أئمة السلف والخلف».

---

(١) الدرر السنية (٦/ ٤٦٧).

(٢) المرجع السابق (٦/ ٦٨).

ثالثًا: كذب علماء السوء والحسَدة: «افتراءات سليمان بن سحيم»:

وهو أحد كبار المناوئين لدعوة الشيخ إبان ظهورها، فقد كان يخب ويضع في سبيل تشويهها، وتأليب الناس - في الداخل والخارج - عليها، ومن ذلك: رسالته الشهيرة التي كان يبعث بها إلى الآفاق للصد عن الدعوة السلفية، ولو بالأكاذيب، وأوردها هنا كما جاءت في «تاريخ ابن غنام»، مع رد الشيخ محمد عليها:

قال ابن غنام: «ومنها: رسالة أرسلها جوابًا لعبد الله بن سحيم، مطوع من أهل المجمعة، حين سأله عن الكتاب الذي أرسله عدو الله سليمان بن محمد بن سحيم، مطوع أهل الرياض، وكانت رسالة أرسلها إلى أهل البصرة والحسا، يشنع فيها على الشيخ بالكذب والبهتان والزور والباطل الذي ما جرى وما كان، وقصده بذلك الاستنصار بكلامهم على إبطال ما أظهره الشيخ من بيان التوحيد وإخلاص الدعوة لله، وهدم أركان الشرك، وإبطال مناهج الضلال والإفك، ورام هذا أن يرتقي إلى ذلك بأسباب، ويستدعي من كل معاند مكابر جواب، وإلا فالله تعالى بفضله قد أزال اللبس والحجاب، وكشف عن القلوب المظلمات الرَّيْن والاحتجاب، ونصّ رسالة المجاب[(١)]:

من الفقير إلى الله تعالى سليمان بن محمد بن سحيم، إلى من يصل إليه من علماء المسلمين وخُدَّام شريعة سيد ولد آدم، من الأولين والآخرين،

---

(١) هذا من إنصاف الشيخ ابن غنام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ إذ يورد رسالة هذا المناوئ للدعوة السلفية، وهي في غالبها مجرد افتراءات لا تستحق الالتفات.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد،

فالذي يحيط به علمكم أنه قد خرج في قُطْرِنَا رجلٌ مبتدعٌ، جاهل، مُضِلٌّ ضالٌّ، من بضاعة العلم والتقوى عاطل، جَرَت منه أمور فضيحة، وأحوال شنيعة، منها شيء شاع وذاع وملأ الأسماع، وشيء لم يَتَعَدَّ أماكننا بعد، فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين، وورثة سيد المرسلين، ليصيدوا هذا المبتدع صيد أحرار الصقور، لصغار بغاث الطيور، ويردوا بدعه وضلالاته، وجهله وهفواته، والقصد في ذلك القيام لله ورسوله ونصرة الدين، جعلنا الله وإياكم من الذين يتعاونون على البر والتقوى.

فمن بدعه وضلالته: أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة؛ زيد بن الخطاب وأصحابه، وهدم قبورهم وبعثرها، لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدرون أن يَحْفِرُوا لهم، فطَوَوا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع، والدافن لهم خالد وأصحاب رسول الله ﷺ.

وعمد أيضًا إلى مسجد في ذلك وهدمه، وليس داع شرعي في ذلك إلا اتباع الهوى.

ومنها: أنه أحرق «دلائل الخيرات»[1]؛ لأجل قول صاحبها: سيدنا ومولانا.

---

(١) لمحمد بن سليمان الجزولي (ت ٨٧٠ هـ)، فقيه صوفي من أهل سوسة بالمغرب، كتابه هذا عبارة عن «صلوات مبتدعة على النبي ﷺ». انظر لبيان مافيه من انحراف: رسالة: «تنبيهات على ما في دلائل الخيرات من شطحات»؛ لأحمد السلمي، ضمن كتابه «ثلاث رسائل في الدفاع عن العقيدة» (ص ٢٧٧ - ٣٣٤٥)، وذكر العلماء الذين ردوا على كتابه.

وأحرق أيضًا «روض الرياحين»[1]، وقال: هذا روض الشياطين.

ومنها: أنه صحّ عنه أنه يقول: لو أقدر على حجرة الرسول هدمتها، ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه وجعلت بدله ميزاب خشب. أما سمع قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾!

ومنها: أنه ثبت أنه يقول: الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء. وتصديق ذلك أنه بعث إليَّ كتابًا يقول فيه: أَقِرُّوا أنكم قَبْلِي جُهَّال ضُلَّال.

ومن أعظمها: أن من لم يوافقه في كل ما قال، ويشهد أن ذلك حق، يقطع بكفره، ومن وافقه وصدَّقه في كل ما قال قال: أنت موحِّد. ولو كان فاسقًا محضًا أو مَكَّاسًا، وبهذا أظهَرَ أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله.

ومنها: أنه بعث إلى بلداننا كتابًا مع بعض دعاته، بخط يده، وحلف فيه بالله أن عِلْمَهُ هذا لم يعرفه مشايخه الذين ينتسب إلى أخذ العلم منهم، في زعمه، وإلا فليس له مشايخ، ولا عرفه أبوه، ولا أهل العارض. فيا عجبًا إذا لم يتعلمه من المشايخ، ولا عرفه أبوه، ولا أهل قطره، فمن أين علمه! وعمن أخذه! هل أوحي إليه، أو رآه منامًا، أو علمه به الشيطان! وحَلِفُهُ هذا أشرَفَ عليه جميع أهل العارض.

ومنها: أنه يقطع بتكفير ابن الفارض وابن عربي.

---

(١) «روض الرياحين في حكايات الصالحين»؛ للصوفي اليمني عبدالله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ). حشا كتابه بالخرافات والغلو. انظر: «كتب حذر منها العلماء»؛ للشيخ مشهور سلمان (٢/ ١٩٨).

ومنها: أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول؛ لأجل أنهم يأخذون النذر، ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر عنده.

ومنها: أنه ثبت عنه لما قيل له: اختلاف الأئمة رحمة. قال: اختلافهم نقمة.

ومنها: أنه يقطع بفساد الوقف، ويكذِّب المرويَّ عن رسول الله ﷺ وأصحابه أنهم وقفوا.

ومنها: إبطال الجعالة على الحج.

ومنها: أنه ترك تمجيد السلطان في الخطبة، وقال: السلطان فاسق، لا يجوز تمجيده.

ومنها: أنه قال: الصلاة على رسول الله ﷺ يوم الجمعة وليلتها، وقال: هي بدعة وضلالة تَهْوِي بصاحبها إلى النار.

ومنها: أنه يقول: الذي يأخذه القضاة قديمًا وحديثًا، إذا قَضَوا بالحق بين الخصمين، ولم يكن بيت مال لهم ونفقة، أن ذلك رشوة. ومن هذا القول، بخلاف المنصوص عن جميع الأمة، أن الرشوة ما أُخِذَ لإبطال حق أو لإحقاق باطل، وأن للقاضي أن يقول للخصمين: لا أقضي بينكما إلا بجُعْل.

ومنها: أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمي عليها ويجعلها لله تعالى، ويدخل مع ذلك دفع شر الجن، ويقول: ذلك كفر، واللحم حرام. فالذي ذكره العلماء في ذلك أنه منهي عنه فقط، وذكره في حاشية «المنتهى».

فبَيِّنُوا، رحمكم الله، ذلك للعوام المساكين الذي لَبَّسَ عليهم وأبطَلَ

عليهم الاعتقاد الصحيح، فإن رأيتم أن ذلك صواب فبيِّنُوه لنا، ونرجع إلى قوله، وإن رأيتموه خطأً فاردَعُوه وازجُرُوه، وبيِّنُوا للناس خطأه؛ فقد افتَتَنَ بسببه ناس كثير من أهل قطرنا، فتداركوا رحمكم الله الأمر قبل أن يرسخ في النفوس، فإن الجواب متعيِّنٌ على من وقَف عليه، ممن له معرفة بحكم الله ورسوله؛ لأن ذلك إظهار للحق عند خفائه وإدحاض للباطل. انتهى ما ذكره صاحب الرسالة.

قال الشيخ ابن غنام: وقد يسر الله للشيخ اتصالٌ إليها، والوقوف عليها، وألهَمَه الجواب عنها والتنصُّلَ عن كثير منها، فبَيَّنَ الحق الذي قاله، وبَيَّن الكذب والزور الذي رماه به أهل الجهالة، وهذا نص الرسالة، كتبها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن سحيم، وبعد:

لَفَانَا مكتوبُك، وما ذكرت فيه من ذكرك وما بلغك، ولا يخفاك أن المسائل التي ذَكَرْتَ أنها بلغتكم في كتاب من «العارض» جملتها أربع وعشرون مسألة، بعضها حق، وبعضها بهتان وكذب، وقبل الكلام فيها لا بد من تقديم أصل. وذلك أن أهل العلم إذا اختلفوا، والجهال إذا تنازعوا، ومثلي ومثلكم إذا اختلفنا في مسألة؛ هل الواجب اتِّبَاع أمر الله ورسوله وأهل العلم، أو الواجب اتِّبَاع عادة الزمان الذي أدركنا الناس عليها ولو خالَفَتْ ما ذكره العلماء في جميع كتبهم؟

وإنما ذكرتُ هذا، ولو كان واضحًا، لأن بعض المسائل التي ذَكَرْتَ أنا قلتُها، لكن هي موافقة لما ذكره العلماء في كتبهم، الحنابلة وغيرهم، ولكن هي مخالفة لعادة الناس التي نشأوا عليها، فأنكَرَها عليَّ مَن أنكَرَها لأجل

مخالفة العادة، وإلا فقد رَأوا تلك في كتبهم عيانًا، وأقروا بها، وشهدوا أن كلامي هو الحق، لكن أصابهم ما أصاب الذين قال الله فيهم: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ الآية، وهذا هو ما نحن فيه بعينه، فإن الذي راسلكم هو عدو الله ابن سحيم، وقد بَيَّنْتُ ذلك له فأَقَرَّ به، وعندنا كتب يده في رسائل متعددة أن هذا هو الحق، وأقام على ذلك سنين، لكن أنكر آخر الأمر لأسباب، أعظمها البغي أن يُنزل الله من فضله على من يشاء من عباده، وذلك أن العامة قالوا له ولأمثاله: إذا كان هذا هو الحق فلأي شيء لم تَنْهَوْنَا عن عبادة شمسان وأمثاله، فتَعَذَّرُوا أنكم ما سألتمونا. قالوا: وإن لم نسألكم كيف نُشرك بالله عندكم ولا تنصحونا! وظنوا أن يأتيهم في هذا غضاضة، وأن فيه شرفًا لغيره. وأيضًا لما أنكرنا عليهم أكل السحت والرِّشَا، إلى غير ذلك من الأمور، فقام يدخل عندكم وعند غيركم بالبهتان، والله ناصر دينه ولو كره المشركون.

وأنت لا تستهوِنْ مخالفة العادة على العلماء فضلًا عن العوام، وأنا أضرب لك مثلًا بمسألة واحدة، وهي مسألة الاستجمار ثلاثًا فصاعدًا، من غير عظم ولا روث، وهو كافٍ مع وجود الماء عند الأئمة الأربعة وغيرهم، وهو إجماع الأمة لا خلاف في ذلك، ومع هذا لو يفعله أحد لصار هذا عند الناس أمرًا عظيمًا، ولَنَهَوْا عن الصلاة خلفه وبدَّعُوه، مع إقرارهم بذلك، ولكن لأجل العادة.

إذا تبين هذا؛ فالمسائل التي شنع بها منها ما هو من البهتان الظاهر، وهي **قوله** إني مبطل كتب المذاهب، **وقوله** إني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، **وقوله** إني أدعي الاجتهاد، **وقوله** إني خارج عن

التقليد، **وقوله** إني أقول إن اختلاف العلماء نقمة، **وقوله** إني أكفر من توسل بالصالحين، **وقوله** إني أكفر البوصيري لقوله «يا أكرم الخلق»، **وقوله** إني أقول: لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابًا من خشب، **وقوله** إني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ، **وقوله** إني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ، **وقوله** إني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم، وإني أكفر من يحلف بغير الله.

فهذه اثنتا عشرة مسألة، جوابي فيها أن أقول: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ ولكن قَبْلَه مَن بَهَتَ النبيَّ محمدًا ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين**!** تشابهت قلوبهم، وبَهَتُوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعُزَير في النار، فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ الآية.

وأما المسائل الأخر وهي: **أني** أقول: لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى «لا إله إلا الله» **ومنها**: أني أعرِّف من يأتيني بمعناها، **ومنها** أني أقول: الإله هو الذي فيه السر. **ومنها**: تكفير الناذر إذا أراد به التقرب لغير الله وأخذ النذر كذلك، **ومنها**: أن الذبح للجن كفر، والذبيحة حرام، ولو سمّى الله عليها إذا ذبحها للجن.

فهذه خمس مسائل كلها حق، وأنا قائلها، ونبدأ بالكلام عليها لأنها أم المسائل، وقبل ذلك ذكر معنى «لا إله إلا الله»، فنقول:

التوحيد نوعان: توحيد الربوبية، وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم، وهذا حق لا بد منه، لكن لا يُدْخِل الرجلَ في الإسلام لأن أكثر الناس مُقِرُّون به، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن

يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، وأن الذي يُدْخِل الرجلَ في الإسلام هو توحيد الألوهية، وهو ألا يُعْبَد إلا الله، لا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌّ مُرْسَل، وذلك أن النبي ﷺ بُعِثَ وأهل الجاهلية يعبدون أشياء مع الله؛ فمنهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو عيسى، ومنهم من يدعو الملائكة، فنهاهم عن هذا، وأخبرهم أن الله أرسله لِيُوَحَّدَ ولا يُدْعَى أحدٌ من دونه، لا الملائكة ولا الأنبياء، فمن تبعه ووحَّد اللهَ فهو الذي شهد أن لا إله إلا الله، ومن عصاه ودعا عيسى والملائكة، واستنصرهم والتجأ إليهم، فهو الذي جحد «لا إله إلا الله» مع إقراره أنه لا يَخْلُقُ ولا يَرْزُقُ إلا الله.

وهذه جملة لها بسط طويل، لكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء، ولما جرى في هذه الأمة ما أخبر نبيها ﷺ حيث قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه**»[1] وكان مَن قبلَهم كما ذكر الله عنهم ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فصار ناس من الضالِّين يَدْعُون أناسًا من الصالحين في الشدة والرخاء، مثل عبد القادر الجيلاني وأحمد البدوي وعدي بن مسافر، وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح، فأنكر عليهم أهل العلم غاية الإنكار، وزجروهم عن ذلك وحذروهم غاية التحذير والإنذار، من جميع المذاهب الأربعة في سائر الأقطار والأمصار، فلم يحصل منهم انزجار، بل استمروا على ذلك غاية الاستمرار، وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحاشاهم من ذلك، وبيّن أهل العلم أن أمثال هذا هو الشرك الأكبر.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).

وأنت ذَكَرْتَ في كتابك: ما تقول يا أخي ما لنا واللهِ دليلٌ إلا من كلام أهل العلم. وأنا أقول كلام أهل العلم، رضي الله عنهم، وأنا أنقله لك، وأنبهك عليه، فتفكر فيه، وقم لله ساعةً ناظرًا ومناظرًا، مع نفسك ومع غيرك، فإن عَرَفْتَ أن الصواب معي، وأن دين الإسلام اليوم من أغرب الأشياء، أعني دين الإسلام الصِّرْفَ، الذي لا يُمْزَج بالشرك والبدع، وأما الإسلام الذي ضده الكفر، فلا شك أن أمة محمد ﷺ آخر الأمم، وعليها تقوم الساعة، فإن فَهِمْتَ أن كلامي هو الحق فاعمل لنفسك، واعلم أن الأمر عظيم، والخطب جسيم، فإن أشكَلَ عليك شيء فسَفَرُكَ إلى المغرب في طلبه غير كثير.

واعتبر لنفسك، حيث كَتَبْتَ لي فيما مضى أن هذا هو الحق الذي لا شك فيه، لكن لا نقدر على تغييرٍ، وتكلمت بكلام حسن، فلما غوبلك الله بولد المويس، ولبّس عليك، وكتب لأهل الوشم يستهزئ بالتوحيد، ويزعم أنه بدعة، وأنه خرج من خراسان، ويسب دين الله ورسوله، لم تفطن لجهله وعظم ذنبه، وظننت أن كلامي فيه من باب الانتصار للنفس، وكلامي هذا لا يغيرك، فإن مرادي تفهم أن الخطب جسيم، وأن أكابر أهل العلم يتعلمون هذا ويغلطون فيه، فضلًا عنا وعن أمثالنا، فلعله إن أشكل عليك تواجهني، هذا إن عَرَفْتَ أنه حق. وإن كنتُ إذا نقلتُ لك عبارات العلماء عَرَفْتَ أني لم أفهم معناها، وأن الذي نقلتُ لك كلامهم أخطئوا، وأنهم خالفهم أحد من أهل العلم، فنبِّهني على الحق، وأرجع إليه إن شاء الله تعالى، فنقول:

قال الشيخ تقي الدين: وقد غَلِطَ في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر ومن أهل العبادة حتى قلبوا حقيقته؛ فطائفة ظنت أن التوحيد هو نفي

الصفات، وطائفة ظنوا أنه الإقرار بتوحيد الربوبية، ومنهم من أطال في تقرير هذا الموضع، وظن أنه بذلك قرر الوحدانية، وأن الألوهية هي القدرة على الاختراع ونحو ذلك، ولم يعلم أن مشركي العرب كانوا مُقِرِّين بهذا التوحيد، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الآيات، وهذا حق، لكن لا يَخْلُصُ به عن الإشراك بالله الذي لا يغفره الله، بل لابد أن يُخْلِصَ الدين لله، فلا يَعبدَ إلا الله، فيكون دينه لله، والإله هو المَأْلُوهُ الذي تَأْلَهُهُ القلوب[1]. وأطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلام.

وقال أيضًا في «الرسالة السنية» التي أرسلها إلى طائفة من أهل العبادة ينتسبون إلى بعض الصالحين ويَغْلُون فيه، فذكر حديث الخوارج ثم قال:

فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، ممن ينتسب إلى الإسلام، مَن مَرَقَ مع عبادته العظيمة، فَلْيُعْلَمْ أن المنتسب إلى الإسلام قد يَمْرُقُ من الدين، وذلك بأمورٍ:

منها الغلو الذي ذمه الله، مثل الغلو في عدي بن مسافر أو غيره، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح ونحوه، فكل مَن غَلَا في نبي أو صحابي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثني. أو: أنا في حسبك. ونحو هذا، فهذا كافر يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لِيُعْبَدَ ولا يُدْعَى معه إله آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى، مثل الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصورة على صورهم، لم يكونوا يعتقدون

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٤١ - ٤٣).

أنها تُنْزِل المطر أو تُنْبِت النبات، وإنما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تَنْهَى أن يُدْعَى أحدٌ من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة[١]. وأطال الكلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فتأمل كلامه في أهل عصره من أهل النظر الذين يدَّعون العلم، ومن أهل العبادة الذين يدَّعُون الصلاح.

وقال في «الإقناع» في باب حكم المرتد، في أوله:

فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو وحدانيته... إلى أن قال: أو استهزأ بالله أو رسله. قال الشيخ: أو كان مبغضًا لرسوله، أو لِمَا جاء به اتفاقًا، أو جعَل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم - كَفَرَ إجماعًا... إلى أن قال: أو أنكَرَ الشهادتين أو إحداهما[٢].

فتأمل هذا الكلام بشَرَاشِرِ قلبك، وتأمل؛ هل قالوا هذا في أشياء وُجِدَت في زمانهم واشتد نكيرهم على أهلها، أو قالوها ولم تقع؟ وتأمل الفرق بين جحد الربوبية والوحدانية والبغض لما جاء به الرسول.

وقال أيضًا في أثناء الباب: ومن اعتقد أنَّ لأحدٍ طريقًا إلى الله غير متابعة محمد ﷺ أوْ لا يجب عليه اتباعُهُ، أو أن لغيره خروجًا عن اتباعه، أو قال: أنا محتاج إليه في علم الظاهر دون علم الباطن. أو: في علم الشريعة دون علم الحقيقة. أو قال: إن من العلماء مَن يَسَعُهُ الخروج عن شريعته كما وسع الخَضِرَ الخروجُ عن شريعة موسى. كفر في هذا كله[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٣ - ٣٩٦).

(٢) الإقناع (٤/ ٢٩٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٦٣، ٢٧/ ٥٩).

ولو تعرف من قال هذا الكلام فيه وجزم بكفرهم، وعَلِمْتَ ما هم عليه من الزهد والعبادة، وأنهم عند أكثر أهل زماننا من أعظم الأولياء، لقضيت العجب.

وقال أيضًا في الباب:

ومن سبَّ الصحابة، واقتَرَن بِسَبِّهِ دعوى أن عليًّا إلهٌ أو نبيٌّ، أو أن جبريل غَلِطَ، فلا شك في كفر هذا، بل لا شك في كفر مَن توقف في تكفيره[١].

فتأمل هذا، إذا كان كلامه هذا في عليٍّ، فكيف بمَن ادَّعَى أن ابن عربي أو عبد القادر إلهٌ! وتأمل كلام الشيخ في معنى الإله الذي تَأْلَهُهُ القلوب.

واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي ﷺ بأنهم يَدْعُون الأولياء والصالحين في الرخاء والشدة، ويطلبون منهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات، مع كونهم يَدْعُون الملائكة والصالحين، ويريدون شفاعتهم والتقرب لهم، وإلا فهم مُقِرُّون بأن الأمر لله، فهم لا يدعونهم إلا في الرخاء، فإذا جاءتهم الشدائد أخلصوا لله، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ﴾ الآية.

وقال أيضًا في «الإقناع» في الباب:

ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفِعْلُهُ، وهو عُقَد ورُقًى وكلام يتكلم به أو يكتبه، أو يعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله، ومنه ما يقتل، ومنه ما يُمْرِض، ومنه ما يأخذ الرجلَ عن امرأته فيَمْنَعُهُ وطأها، ومنه ما يبغِّض أحدهما للآخر، ويحبِّب بين اثنين، ويَكْفُرُ بتعلُّمِهِ وفِعْلِهِ، سواء

---

(١) الإقناع (٤/ ٢٩٩).

اعتقد تحريمه أو إباحته[١].

فتأمل هذا الكلام، ثم تأمل ما جرى في الناس، خصوصًا الصرف والعطف، تعرف أن الكفر ليس ببعيد، وعليك بتأمل هذا الباب في «الإقناع» وشرحه تأملًا جيدًا، وقِفْ عند المواضع المشكلة، وذاكر فيها كما تفعل في باب الوقف والإجارة؛ يتبين لك إن شاء الله أمر عظيم.

وأما الحنفية؛ فقال الشيخ قاسم في «شرح درر البحار»:

النذر الذي يقع من أكثر العوام، وهو أن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلًا: يا سيدي فلان إن رُدَّ غائبي، أو عوفي مريضي، أو قُضِيَت حاجتي فلك كذا وكذا. باطل إجماعًا؛ لوجوه؛ منها أن النذر للمخلوق لا يجوز، ومنها ظن أن الميت يتصرف في الأمر، واعتقاد هذا كفر[٢]. إلى أن قال: إذا عُرِفَ هذا، فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها، ويُنْقَل إلى ضرائح الأولياء، فحرام بإجماع المسلمين، وقد ابتُلِيَ الناس، لاسيما في مولد أحمد البدوي[٣].

فتأمل قول صاحب «النهر» مع أنه بمصر ومقر العلماء، كيف شاع بين أهل مصر ما لا قدرة للعلماء على دفعه! فتأمل قوله: «من أكثر العوام» أتظن أن الزمان صلح بعده!

وأما المالكية؛ فقال الطرطوشي في كتاب «الحوادث والبدع»:

---

(١) الإقناع (٤/٣٠٧).

(٢) البحر الرائق (٢/ ٣٢٠ - ٣٢١).

(٣) حاشية ابن عابدين (٢/٣٣٩ - ٤٤٠).

روى البخاري[١] عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَين، ونحن حَدِيثُو عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكُفُون حولها، ويَنُوطُون بها أسلحتهم، يقال لها «ذات أنواط» فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال: «**الله أكبر، هذا كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم**»[٢] فانظروا، رحمكم الله، أينما وجدتم سدرة يقصدها الناس وينوطون بها الخِرَقَ فهي ذات أنواط، فاقطعوها.

وقال ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء؛ الذين يُصْلِحُون إذا فسد الناس**»[٣] ومعنى هذا أن الله لما جاء بالإسلام، فكان الرجل إذا أسلم في قبيلته غريبًا مستخفيًا بإسلامه قد جفاه العشيرة، فهو بينهم ذليل خائف، ثم يعود غريبًا لكثرة الأهواء المضلة والمذاهب المختلفة، حتى يبقى أهل الحق غرباء في الناس لقلتهم وخوفهم على أنفسهم.

وروى البخاري عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: والله، ما أعرف فيهم من أمر محمد إلا أنهم يُصَلُّون جميعًا[٤]. وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره.

---

(١) لم يروه البخاري، وهي في (مختصر الحوادث والبدع ص ١٨): (روى أحمد).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) والإمام أحمد (٥/٢١٨) وصححه الشيخ الألباني (ظلال الجنة ٧٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٤٤١).

(٤) صحيح البخاري (٦٥٠).

وقال الزهري: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: ما أعرف فيهم شيئًا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيِّعَت[١]. انتهى كلام الطرطوشي[٢].

فليتأمل اللبيب هذه الأحاديث، وفي أي زمان قيلت وفي أي مكان، وهل أنكرها أحد من أهل العلم!

والفوائد فيها كثيرة، ولكن مرادي منها ما وقع من الصحابة، وقول الصادق المصدوق أنه مثل كلام الذين اختارهم الله على العالمين لنبيهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ يا عجبًا إذا جرى هذا من أولئك السادة، كيف يُنكر علينا أن رجلًا من المتأخرين غلط في قوله «يا أكرم الخلق»! كيف تعجبون من كلامي فيه وتظنونه خيرًا وأعلم منهم!

ولكن هذه الأمور لا علم لكم بها، وتظنون أن من وصف شركًا أو كفرًا أنه الكفر الأكبر المخرج عن الملة. ولكن أين كلامك هذا من كتابك الذي أرسَلْتَ إليَّ، قبل أن يغربلك الله بصاحب الشام، وتذكر وتشهد أن هذا هو الحق، وتعتذر أنك لا تقدر على الإنكار! ومرادي أبين لك كلام الطرطوشي ما وقع في زمانه من الشرك بالشجر، مع كونه في زمن القاضي أبي يعلى، أتظن الزمان صلح بعده؟

وأما كلام الشافعية؛ فقال الإمام محدث الشام أبو شامة في كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» وهو في زمن الشارح وابن حمدان:

---

(١) صحيح البخاري (٥٣٠).

(٢) مختصر الحوادث والبدع (ص ١٨ - ١٩).

وقد وقع مِن جماعة مِن النابذين لشريعة الإسلام، المنتمين إلى الفقر، الذي حقيقته الافتقار من الإيمان، من اعتقادهم في مشايخ لهم ضالِّين مُضِلِّين؛ فهم داخلون تحت قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها.

ومن هذا القسم ما قد عمَّ الابتلاء من تزيين الشيطان للعامة تخليقَ الحيطانِ والعُمُدِ، وسَرْجَ مواضع في كل بلد يَحْكِي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه أحدًا ممن شُهِرَ بالصلاح، فيفعلون ذلك، ويظنون أنهم يتقربون إلى الله، ثم يجاوزون ذلك إلى أن يَعْظُمَ وَقْعُ تلك الأماكن في قلوبهم، ويرجون الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي بين عيون وشجر وحائط وحجر. وفي دمشق، صانها الله من ذلك، مواضع متعددة، كعوينة الحمى والشجرة الملعونة خارج باب النصر، سهل الله قطعها، فما أشبهها بذات أنواط[1]. ثم ذكر كلامًا طويلًا، إلى أن قال: أسأل الله الكريم معافاتِهِ من كل ما يخالف رضاه، ولا يجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه[2].

فتأمل ذكره في هذا النوع أنه نَبْذٌ لشريعة الإسلام، وأنه خروج عن الإيمان، ثم ذكر أنه عمَّ الابتلاء به في الشام، فأنت قل لصاحبكم: هؤلاء العلماء من الأئمة الأربعة ذكروا أن الشرك عم الابتلاء به وغيره، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض، وذكروا أن الدين عاد غريبًا، فهو بين اثنتين: إما

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (١/ ٢٥ - ٢٦).

(٢) المرجع السابق.

أن يقول: كل هؤلاء العلماء جاهلون ضالُّون مُضِلُّون خارجون. وإما أن يدَّعي أن زمانه وزمان مشايخه صلح بعد ذلك.

ولا يخفاك أني عثرت على أوراق عند ابن عزاز، فيها إجازات له من عند مشايخه، وشيخ مشايخه رجلٌ يقال له «عبد الغني»[١] ويُثنون عليه في أوراقهم ويسمونه «العارف بالله»، وهذا اشتُهِرَ عنه أنه على دين ابن عربيّ، الذي ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون، حتى قال ابن المُقْرِي الشافعي: من شك في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر. فإذا كان إمام دين ابن عربي والداعي إليه هو شيخهم، ويثنون عليه أنه العارف بالله، فكيف يكون الأمر! ولكن أعظم من هذا كله ما تقدم عن أبي الدرداء وأنس، وهما بالشام، ذلك الكلام فيه العظيم، واحتج به أهل العلم على أن زمانهم أعظم، فكيف بزماننا!

وقال ابن القيم، رحمه الله، في «الهدي النبوي» في الكلام على حديث وفد الطائف، لما أسلموا وسألوا النبي ﷺ أن يترك لهم اللات؛ لا يهدمها سنة، ولما تكلم ابن القيم على المسائل المأخوذة من القصة قال:

ومنها: أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت، بعد القدرة على هدمها وإبطالها، يومًا واحدًا، فإنها شعائر الشرك والكفر، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة. وهكذا حكم المشاهد التي بُنِيَت على القبور التي اتُّخِذَت أوثانًا تُعْبَد من دون الله، والأحجار التي

---

(١) هو الصوفي النقشبندي الشهير: عبدالغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ). انظر الرد على انحرافاته في: «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي»؛ للدكتور محمد أحمد لوح (١/ ٥٤٤ - ٥٤٩).

تُقْصَد للتبرك والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، بل أعظم شركًا عندها وبها، والله المستعان، ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تَخْلُق وتَرْزُق، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سَنَنَ مَن قبلهم، وسلكوا سبيلهم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، وسلكوا سبيلهم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، وغلب الشرك على أكثر النفوس؛ لغلبة الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والسنة بدعة، والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهَرِمَ عليه الكبير، وطَمَسَت الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقلَّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس[1]. انتهى كلامه.

وقال أيضًا في الكلام على هذه القصة، لما ذكَر أن النبي ﷺ أَخَذَ مال اللات وصَرَفَه في المصالح:

ومنها: جواز صرف الإمام الأموال التي تصير إلى هذه الطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين، فيجب عليه أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التي تُسَاق إليها ويصرفها على الجند والمقاتلة ومصالح الإسلام، كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات، وكذا الحكم في وقفها، والوقف عليها باطل، وهو مال ضائع، فيصرف في مصالح المسلمين؛ فإن الوقف لا يصح إلا في قربة وطاعة لله ولرسوله، فلا يصح على مشهد، ولا قبر يُسْرَج عليه، ويُعَظَّم،

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٤٤٣).

ويُنْذَر له، ويُعْبَد من دون الله، وهذا مما لا يُخَالِفُ فيه أحدٌ من أئمة الدين ومن اتبع سبيلهم[١]. انتهى كلامه.

فتأمل كلام هذا الرجل، الذي هو من أهل العلم، وهو أيضًا من أهل الشام، كيف صرّح أنه ظهر في زمانه، فيمن يدعي الإسلام في الشام وغيره، عبادةُ القبور والمشاهد والأشجار والأحجار، التي هي أعظم من عبادة اللات والعزى أو مثله، وأن ذلك ظهر ظهورًا عظيمًا، حتى غلب الشرك على أكثر النفوس، وحتى صار الإسلام غريبًا، بل اشتدت غربته! أين هذا من قول صاحبكم لأهل الوشم في كتابه، لما ذكروا له أن في بلدانكم شيئًا من الشرك: يأبى الله أن يكون ذلك في المسلمين! وكلام هؤلاء الأئمة من أهل المذاهب الأربعة أعظم وأعظم وأَطَمُّ مما قال ابن عيدان وصاحبه في أهل زمانهما. أَفتَرَى هؤلاء العلماء أَتَوا فِرْيَةً عظيمة ومقالة جسيمة!

فهذا ما يسر الله نقله من كلام أهل العلم على سبيل العجلة، فأنت تأمله تأملًا جيدًا، واجعل تأملك لله، مستعيذًا بالله من إتباع الهوى، ولا تفعل فِعْلَكَ أولًا.

ولما ذكرت لك أنك تأمل كلامي وكلامه، فإن كان كلامي صحيحًا لا مجازفة فيه، وأن شامِيّكم لا يعرف معنى «لا إله إلا الله»، ولا يعرف عقيدة الإمام أحمد وعقيدة الذين ضربوه، فاعرف قدره، فهو بغيره أجهل، واعرف أن الأمر أمرٌ جليلٌ. فإن كان كلامي باطلًا، ونَسَبتُ رجلًا من أهل

---

(١) المرجع السابق.

العلم إلى هذه الأمور العظيمة بالكذب والبهتان، فالأمر أيضًا عظيم، فأَعْرَضْتَ عن ذلك كله، وكَتَبْتَ لي كتابًا في شيء آخر.

فإن كان مرادُكَ اتباعَ الهوى، أعاذنا الله منه، وأنك مع ولد المويس كيف كان، فاترُك الجواب؛ فإن بعض الناس يذكرون عنك أنك صائر معه لأجل شيء من أمور الدنيا. وإن كنتَ مع الحق فلا أَعْذِرُكَ مِن تَأَمُّلِ كلامي هذا وكلامي الأول، وتَعْرِضهُما على كلام أهل العلم، وتُحْرِّرهما تحريرًا جيدًا، ثم تتكلم بالحق.

إذا تقرر هذا؛ فخَمْسُ المسائل التي قدَّمْتُ جوابُها في كلام العلماء، وأضيف إليها مسألة سادسة، وهي إفتائي بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم، وسميتهم «طواغيت»، ذلك أنهم يَدْعُون الناسَ إلى عبادتهم من دون الله عبادةً أعظَمَ من عبادة اللات والعزى بأضعاف، وليس في كلامي مجازفة، بل هو الحق؛ لأن عبادة اللات والعزى يَعبُدُونها في الرخاء ويُخْلِصُون لله في الشدة، وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم إياهم في شدائد البر والبحر، فإن كان اللهُ أوقَعَ في قلبك معرفةَ الحق والانقيادَ له، والكفرَ بالطاغوت والتَّبَرِّيَ ممن خالف هذه الأصول، ولو كان أباك أو أخاك، فاكتب لي وبَشِّرْني؛ لأن هذا ليس مثل الخطأ في الفروع، بل ليس الجهل بهذا، فضلًا عن إنكاره، مثل الزنا والسرقة، بل والله، ثم والله، ثم والله، إن الأمر أعظم. وإن وقع في قلبك إشكال فاضرَعْ إلى مُقَلِّبِ القلوب أن يهديك لدينه ودين نبيه.

وأما بقية المسائل فالجواب عنها ممكن إذا خلصنا من شهادة أن لا إله إلا الله، وبيننا وبينكم كلام أهل العلم، لكن العجب من قولك: أنا هادمٌ

قبورَ الصحابة، وعبارة «الإقناع» في الجنائز: يجب هدم القباب التي على القبور؛ لأنها أُسِّسَت على معصية الرسولِ[١]. والنبيُّ ﷺ صحَّ عنه أنه بعث عليًّا لهدم القبور.

ومِثْل صاحب كتابكم لو كتب لكم أن ابن عبد الوهاب ابتدع؛ لأنه أنكر على رجل تزوَّج أخته! فالعجب كيف راج عليكم كلامه فيه!

وأما قولي: إن الإله الذي فيه السر. فمعلوم أن اللغات تختلف؛ فالمعبود عند العرب، والإله الذي يسمونه عوامُّنا «السيد، والشيخ، والذي فيه السر» والعرب الأولون يسمون الألوهية ما يسميه عوامُّنا «السر» لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضر، وكونه يصلح أن يُدْعَى ويُرْجَى ويُخَاف ويُتَوَكَّل عليه، فإذا قال رسول الله ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»[٢] وسُئِل بعض العامة: ما فاتحة الكتاب؟ ما فسَّرْتَ له إلا بلغة بلده؛ فتارة تقول: هي فاتحة الكتاب. وتارة تقول: هي أم القرآن. وتارة تقول: هي الحمد. وأشباه هذه العبارات التي معناها واحد، ولكن إن كان السر في لغة عوامنا ليس هذا، وأن هذا ليس هو الإله في كلام أهل العلم، فهذا وجه الإنكار، فبَيِّنُوا لنا.

وأما قول ابن سحيم في أول الرسالة: إنه عَمَدَ إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة؛ زيد بن الخطاب وأصحابه، وهدم قبورهم وبعثرها، لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدرون أن يَحْفِرُوا لهم، فطَوَوا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع، والدافن لهم

(١) الإقناع (١/ ٢٣٣) نقلا عن ابن القيم.
(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦) ومسلم (٣٩٤).

خالد بن الوليد وأصحاب رسول الله ﷺ. وعَمَدَ أيضًا إلى مسجد في ذلك وهدمه. . . إلى آخره.

فهذا الكلام ذَكَرَ فيه ما هو حق وصدق، وذَكَرَ فيه ما هو كذب وزور وبهتان، فالذي حدث من الشيخ رحمه الله، وأتباعه، أنه هدم البناء الذي على القبور، والمسجدَ المجعولَ في المقبرة على القبر الذي يزعمون أنه قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك كذب ظاهر؛ فإن قبر زيد، رضي الله عنه، ومن معه من الشهداء لا يُعْرَف أين موضعه، بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ قُتِلُوا في أيام مُسَيْلِمَة في هذا الوادي، ولا يُعْرَف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم، ولا يُعْرَف قبر زيد مِن قبر غيره، وإنما كَذَبَ ذلك بعضُ الشياطين وقال للناس: هذا قبر زيد. فافتُتِنُوا به، وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد بالزيارة، ويجتمع عنده جمع كثير، ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات؛ فلأجل ذلك هَدَم الشيخُ ذلك البناء الذي على قبره، وذلك المسجدَ المبنيَّ على المقبرة، اتباعًا لما أمر الله به ورسوله مِن تسوية القبور، والنهيِ الغليظِ الشديد في بناء المساجد عليها، كما يَعرف ذلك من له أدنى مَلَكَة من المعرفة والعلم.

وقوله: وبعثرها لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدرون أن يَحْفِرُوا لهم، فطَوَوا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع. فكل هذا كذب وزور، وتشنيع على الشيخ عند الناس بالباطل والفجور، وكلامه هذا تكذبه المشاهدة؛ فإن الموضع الذي فيه تلك القبور موضع سهل لين للحفر، وأهل العُيَيْنَة والجُبَيْلَة، وغيرهما من بلدان العارض، يدفنون موتاهم في تلك المقبرة، وهي أرض سهلة، لا حجارة فيها، والحجارة والوَعْرُ عن

والذي يظهر من صنيع المحدّثين وغيرهم من أهل السنة أن بغض علي رضي الله عنه إنما يكون آية نفاق إذا كان الحامل عليه نصرته للنبي ﷺ، وبذلك يشترك علي مع الأنصار وبقية الصحابة في هذا المعنى، وهم الذين قال فيهم الرسول ﷺ: «**لا يحب الأنصار إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق**»، وهذا صحيح[١]. ثم كيف يكون من أفرط في حب علي حتى ادعى عصمته ونبوته بل وألوهيته محسناً فتصدق عليه آية الإيمان؟!.

ثم إن الخوارج في جملتهم يتحرون الصدق ولا يستحلون الكذب، ولو استحلوه على الرسول ﷺ لاستحلوه على غيره من أئمة الجور من باب أولى؛ خلافاً لما ثبت من ذلك في حق الشيعة، إذ لم يتورع أكثرهم عن الكذب والوضع، وكانت بدعة أكثرهم ناتجة عن زندقة وإلحاد، بخلاف الخوارج، فكانت ناتجة عن الجهل في معرفة الشرع، وأكثرهم موصوف بالتديُّن والورع، وحتى مع الجهل.

وهذا لا يعني أن مجرد الوصف بالتشيع يعني الطعن في العدالة، فكم من إمام فاضل نُسِب إلى التشيع؛ كالحسن بن حي، وعبدالرزاق الصنعاني، وهم كثر، فمن ثبتت أهليته وأمانته قبلت روايته، وإن قيل فيها كذا وكذا، ولذلك وجدنا أن كثيرًا من المحدثين ردوا قول الحافظ الجوزجاني - وهو مشهور بالنصب[٢] - في أهل الكوفة؛ لإفراطه في الطعن فيهم، حتى أخذ يضعف مثل الأعمش وأبي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٨٥٢٣)، وصححه الأرنؤوط. وسيأتي الحديث عن هذه المسألة - إن شاء الله -.

(٢) أقول: دفع الدكتور عبدالعليم البستوي اتهام الجوزجاني بالنَصْب في رسالته «الإمام الجوزجاني ومنهجه في الجرح والتعديل» (ص ٣٩ - ٦١)، وردّ على الكوثري وأمثاله، ممن يُروج هذه التهمة الباطلة.

نعيم وغيرهما من أئمة الحديث وأركان الرواية، ومن هذا القبيل أيضاً تجريح الحافظ ابن خراش لأهل الشام، وهو شيعي معروف»[١].

وقال السخاوي في «فتح المغيث»[٢]: «فإن قيل: قد خرّج البخاري لعمران بن حطان السدوسي الشاعر، الذي قال فيه أبو العباس المُبرِّد: إنه كان رأس القُعّد من الصفرية، وخطيبهم، وفقيههم، وشاعرهم، مع كونه كان داعية إلى مذهبه، فقد مدح عبدالرحمن بن ملجم قاتل علي، وذلك من أكبر الدعوة إلى البدعة... فقد أجيب عن التخريج بأجوبة:

أحدها: أنه إنما خرّج له ما حُمل عنه قبل ابتداعه.

ثانيها: أنه رجع في آخر عمره عن هذا الرأي.

ثالثها - وهو المعتمد المعوّل عليه -: أنه لم يُخرج له سوى حديث واحد، مع كونه في المتابعات، ولا يضر فيها التخريج لمثله».

قلت: يُضاف لهذا الثالث: قول الحافظ في «الفتح»[٣]: «إنما أخرج له البخاري على قاعدته في تخريج أحاديث المبتدع إذا كان صادق اللهجة متدينًا».

أما عن سبب عدم رواية البخاري لجعفر الصادق:

فسيأتي جوابها في كلام الشيخ بهجة البيطار رحمه الله، مع التعليق عليه.

وما أحسن قول الأستاذة كريمة سوداني في رسالتها «منهج الإمام البخاري في الرواية عن المبتدعة»[٤]: «وأما كون البخاري روى عن بعض الرواة دون بعض

---

(١) انظر: «لسان الميزان»؛ لابن حجر، (١/ ١٦).

(٢) (٢/ ٢٣١ - ٢٣٤) - بتصرف -. وانظر: «هدي الساري»، (٤٣٣).

(٣) (١٠/ ٢٩٠).

(٤) (ص ٤٤٢ - ٤٤٣).

ممن اتُهموا ببدعة واحدة كالتشيع مثلاً، فقد يكون الباعث على ذلك قلة معرفته بأحوال من لم يرو عنه منهم، أو أنه تعمّد ترك الرواية عنهم؛ لا لشيء إلا لأنه لم يقصد إلى الاستيعاب؛ لا في الرجال ولا في الأحاديث، بدليل ورود كلمة «المختصر» في عنوان كتابه، والمُختصِر لا يُطالَبُ بالإحاطة والاستيعاب المفضيين إلى الإطالة والإطناب».

وقبلها قال الشيخ محمد أبو شهبة رحمه الله: «إذا وجدنا بعض الأئمة الكبار؛ من أمثال البخاري ومسلم، لم يتقيد فيمن أخرج لهم في كتابه، ببعض القواعد؛ فذلك لاعتبارات ظهرت لهم، رجحت جانب الصدق على الكذب، والبراءة على التهمة. وإذا تعارض كلام الناقد وكلام صاحبي الصحيحين فيمن أخرج لهم الشيخان من أهل البدع، قُدم كلامهما واعتبارهما للراوي على كلام غيرهما؛ لأنهما أعرف بالرجال من غيرهما»[1].

أخيرًا: لقد أحسن الصنعاني وأنصف في دفاعه عن أئمة الحديث، عندما قال عنهم: «قد عرفنا من تتبع أحوالهم الإنصاف فيما يقولونه. ألا تراهم يقولون: ثقة إلا أنه كان يتشيع، كان حجة إلا أنه كان يرى القدَر، كان ثقة إلا أنه كان مرجئًا، كان مائلاً عن الحق ولم يكذب في الحديث، كان يرى القدَر وهو مستقيم الحديث؟ فهذا دليلٌ أن القوم كانوا يذكرون في الشخص ماهو عليه، واتصف به، من خير وشر، ولا يتقولون عليه، إذ لو كانوا يتقولون لرمَوا من خالفهم في المذاهب بالكذب، ولما وثّقوا شيعيًا ولا قدَريًا ولا مرجئًا»[2].

قلتُ: فهل يعي هذا الشيعة ومَن شايعهم؟!

---

(١) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، (ص ٣٩٦).

(٢) ثمرات النظر، (ص ١٤٩ - ١٥٠).

ترجمة الشيخ جمال الدين القاسمي[1]

هو أبوالفرج محمد جمال الدين بن محمد سعيد، المعروف بالقاسمي، كان محدثاً فقيهاً مفسراً، مصلحاً وأديباً.

نشأ في بيت علم وفضل، فوالده كان فقيهاً عالماً أديباً، وكان جده الشيخ «قاسم»، من فقهاء الشام وصلحائها الكرام.

وقد عُرف بيت القاسمي بالعلم والتقوى، فنشأ في جو كان محفوفاً بالدين وجلاله وهداه وسلطانه.

وكان رحمه الله سلفيّ العقيدة، انتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في القرى والبلاد السورية، فأقام في عمله هذا أربع سنوات (١٣٠٨-١٣١٢هـ).

ثم رحل إلى مصر، وزار المدينة المنورة.. وكان قد تولى الإمامة في جامع «العنابة» في محلة باب السريجة (أحد أحياء دمشق)، ثم تولى الإمامة والتدريس في جامع «السنانية» في باب الجابية، بعد وفاة والده، سنة ١٣١٧هـ، واستمر فيه معظم حياته.

كان يدرس في مسجده: كتب السنَّة والوعظ العام، كان يملأ نهاره كله بالقراءة والدرس والتلقي عن الشيوخ، يطوف على حلقاتهم.. فقرأ على الشيخ

(١) نقلاً عن كتاب «علماء الشام في القرن العشرين» للشيخ محمد حامد الناصر، (ص١٣٥ - ١٤٩) - بتصرف يسير -، وللزيادة عن ترجمة القاسمي يُنظر: كتاب ابنه ظافر «جمال الدين القاسمي»، وكتاب: «شيخ الشام: جمال الدين القاسمي»؛ لمحمود الاستانبولي، و«جمال الدين القاسمي: أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام»؛ للدكتور نزار أباظة.

أحمد الحلواني، شيخ قراء الشام، وعلى الشيخ سليم العطار، كتب النحو والتفسير والحديث. .

كما درس على الشيخ «بكري العطار» من مشاهير العلماء آنذاك، وقرأ على الشيخ محمد الخاني عدداً من كتب التصوف، وكان الخاني شيخ المتصوفة النقشبندية، ثم انقطع عنه بعد توجهه السلفي[١].

على أن الخاني رغم مخالفة تلميذه لرأيه، كان قد شجعه على التأليف والكتابة، مع أن المعروف عن علماء دمشق آنذاك، عزوفهم عن التأليف اكتفاءً بما بين أيديهم من كتب، كانوا يعدّونها المثل الأعلى في العلوم، وأنها تُغني عن كلِ جديد[٢].

قام القاسمي برحلات عديدة: فرحل إلى بيت المقدس عام **١٩٠٣**م، وزار عدداً من مدن فلسطين، ثم سافر إلى مصر بنفس العام؛ والتقى بالشيخ «محمد عبده» و«رشيد رضا» وآخرين.

وكان يلتقي بالعلماء ويناقشهم، ويطّلع على المكتبات العامة ويشتري كثيراً مما يهمه من الكتب.

لقد عُرف القاسمي بوداعته وأنسه وبشاشته، مع والدَيه وشيوخه وأهل بيته، وكل مَن يخالطه من معارفه وطلابه.

وكان لا يحب المراء ولا كثرة الجدال، يناقش بأسلوب هادئ. . . متلطفاً في المناظرة[٣].

---

(١) «جمال الدين القاسمي»؛ للدكتور نزار أباظة، (ص٣٠٥).
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق (ص١٥٩ - ١٦٢).

يقول عنه ولده «ظافر القاسمي»:

«عُرف القاسمي أنه كان عف اللسان والقلم، لم يتعرض بالأذى لأحد من خصومه، سواء أكان ذلك في دروسه الخاصة أو العامة، وفي مجالسه وندواته.. كان يستقبل خصومه بصدره الواسع وعلمه العميق، فلا يخرج أحدهم إلا وقد امتلأ إعجاباً وتقديراً»[١].

وكان باراً بوالده يبادله العطف والحنان والمحبة، فقد نقل عنه طلابه أنه كان لا يخاطب والده إلا بقوله، سيدي، وكان يقول: «إنني في حياتي لم أخبر والدي بموت صديق له، أو شخص يقاربه في السن خشية انزعاجه»[٢].

كان القاسمي يوجه طلابه نحو السعي لكسب الرزق، ويكره لهم قبول الهبات والصدقات، وإذا أحب أن يعطي المستحق منهم، أمره فنسخ له بعض مسوداته، ثم يكرمه باسم الأجرة لا الصدقة. وقد عرف تلاميذ القاسمي بالفضل والعلم والتقوى، وكان لهم في المجتمع مكانة مرموقة، وكانوا عموماً أوفياء لأستاذهم ولفكره ودعوته[٣].

أما همَّته العالية واستغلاله لأوقاته، فقد كان مضرب المثل في ذلك. يقول رحمه الله: «وقد اتفق لي بحمده تعالي، قراءة صحيح مسلم بتمامه رواية ودراية في أربعين يوماً، وقراءة سنن ابن ماجه كذلك في واحد وعشرين يوماً، وقراءة الموطأ في تسعة عشر يوماً،... فدع عَنْك الكسل واحرص على عزيز وقتك بدرس العلم وإحسان العمل».

---

(١) «قواعد التحديث» (المقدمة)؛ لظافر القاسمي، (ص٣١).
(٢) «الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي» (ص١٨).
(٣) «جمال الدين القاسمي»؛ للدكتور نزار أباظة، (ص١١٤، ٢١٨).

وكان يقسم أوقاته خلال اليومتقسيماً، حرص فيه ألا يضيع منه شيء في غير فائدة، فجعل وقت الفجر للدرس، وضحوة النهار للتأليف والكتابة، وبعد الظهر للقيلولة، ووقت العصر للتدريس، وما بين العشاءَين لوعظ العامة، وخصص ما بعد العشاء للتفسير[(١)].

وبذلك بارك الله في أوقاته ﷺ وفي إنتاجه، وأثره في الأمة.

كان للقاسمي نشاط علمي ملموس في دروسه، ومن خلال طلابه وأصحابه.

وكان له جماعة من لداته وأقرانه، صحبهم على علمهم ونير أفكارهم، فشرعوا يطالعون في مصنفات مفيدة، كان من أجلِّ الصحاب: الشيخ عبدالرزاق البيطار، وأحمد بن محيي الدين الحسني الجزائري (أخو الأمير عبدالقادر)، كما استفاد القاسمي من الشيخ طاهر الجزائري علماً بنوادر الكتب وغرائب المسائل[(٢)].

إلا أن اجتماع القاسمي بأصحابه في حلقة علمية، قد سبَّب له محنة سمّاها: «حادثة المجتهدين» وذلك عام ١٣١٣هـ - ١٨٩٥م.

وذلك أن فريقاً من علماء دمشق المتنورين، كانوا يجتمعون للمذاكرة في حلقة تضم عدداً محدوداً، انتهت بعشرة منهم، جمعهم حب العلم والإخلاص له، وحرية الفكر والبحث. . .

وحدث أن حساداً ومفسدين، اندسوا بينهم، واختلقوا عليهم ما لم يكن، وزعموا أنهم شكلوا «جمعية المجتهدين» وأن لجمال الدين مذهباً خاصاً، يسمى «المذهب الجمالي»، حتى وصل الأمر للوالي «عثمان نوري باشا»، فذاكر

---

(١) «الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي» (ص١٩ - ٢٠).

(٢) «شيخ الشام جمال الدين القاسمي»؛ للإستانبولي، (ص٤٢٥).

المفتي بذلك وشُكلت لهم محكمة شرعية برئاسة المفتي، ثم خلوا سبيلهم وكانوا قد ضموا إلى هؤلاء الشيخ بدر الدين الحسني، إلا أنه شنّع على المحاكم التي تحتال في الربا، وأن البقية يعدّون أنفسهم مجتهدين، وأن الخلافة صارت ملكاً عضوضاً[1].

وقد ردَّ القاسمي على الوشاة بقوله:

زعم الناس بأني ... مذهبيّ يدعى الجمالي
لا وعمرو الحق إني ... سلفيّ الانتحال
مذهبي ما في كتا ... ب الله ربي المتعالي
ثم ما صح من الأخبا ... ر لا قيل وقال
أقتضي الحق ولا ... أرضى بآراء الرجال[2]

لم يكن قبل القاسمي في دمشق، أثر للدعوة السلفية التي انقطعت بعد ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية، فجاء جمال الدين بنغمة اعتبرت جديدة على دمشق وبلاد الشام، دهش منها الأهالي فضلاً عن السلطات التي أخذت تتعقبه، إذ خشيت أن تسير دعوته على غرار دعوات المصلحين قبله كالشيخ محمد بن عبدالوهاب[3].

فحارب القاسمي كل ما أضر بالدين من خرافات وأضاليل، ودعا إلى العودة للأصول الصحيحة، الكتاب الكريم والسنَّة المطهرة، وفتح باب الاجتهاد، وعدم الجمود على أقوال الفقهاء.

---

(١) «جمال الدين القاسمي وعصره»؛ لظافر القاسمي، (ص٤٣ - ٤٥).
(٢) «مجلة البيان»: (العدد٢٢)، بقلم سليمان عبدالله الياسين.
(٣) «جمال الدين القاسمي»؛ للدكتور نزار أباظة، (ص٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٧).

وقد تأثر القاسمي بابن تيمية وتلميذه ابن القيم، كما اقتنع بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيره من المصلحين.

لقد آمن القاسمي بنبذ التعصب والجمود، وفتح باب الاجتهاد لمن يملك القدرة على ذلك، وكثيراً ما كان يستشهد بأقوال الأئمة الأربعة للتدليل على أفكاره.

فكان يقول: «إن مَن يطّلع على كتب هؤلاء الأربعة ـ رحمهم الله ـ يرفض التقليد، لأنهم أمروا تلامذتهم بالاجتهاد، وأن لا يجعلوا كلامهم حجة»[(١)].

وكان يذم التقليد ويقول: «التقليد جذام فشا بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هو مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي، يوقع الإنسان في الخمول والكسل»[(٢)].

وكان يصرح لطلابه فيقول: «إن مذهبي ألا أتقيد بمذهب من المذاهب، بل آخذ منكل مذهب بما هو أقوى دليلاً»[(٣)].

وكان ينهى عن الأخذ بالأحاديث الضعيفة، ولا يتسامح بالاعتماد عليها، ولو في مقام الترغيب بفضائل الأعمال، ومَن استشهد بها، عليه أن يشير إلى ضعفها، ففي الأحاديث الصحيحة ما يُغني، وكذلك في القرآن الكريم.

ويعجبه في هذا الصدد قول الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: «فكل مَن يروي الأحاديث الضعيفة، وهو عارف بها، فهو آثم غاش للمسلمين»[(٤)].

وكان القاسمي حرباً على صوفية زمانه، ما زال يهاجمهم ويذكر خرافاتهم، دون

---

(١) «مجلة البيان»: (العدد٢٢)، سليمان عبدالله الياسين، (ص٤٤).
(٢) «جمال الدين القاسمي»؛ للدكتور نزار أباظة، (ص٣٤٠).
(٣) «شيخ الشام جمال الدين القاسمي»، (ص٨١).
(٤) المرجع السابق، (ص٨١)، و«مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي»، (ص١٢٣).

أن يذكر أسماءهم كعادته، إلا أنه كان يشير إليها في رسائله ومذكراته التي لا ينشرها (رغم أنهكان في بداية حياته نقشبندياً متأثراً بشيخه محمد الخاني ـ كما سبق).

وقد آلمه كثيراً تصرفات مشايخ الطرق في دمشق، وأعمالهم وكثرة بدعهم، فهاجمهم وبيَّن ضلال كثير منهم، وقد وصف ما يفعلون من منكرات تضر بالدين، كحديثه عن مواكبهم التي كانت تخرج في الربيع، وهم يركبون الخيول والحمير والبغال، يتقدمهم الطبل والمزمار. فأين البعد عن الرياء مع الوقوف بين مئات الألوف، تتمايل وتتلوى..؟! أما آن لهذه البدع أن تموت ولهؤلاء الجهلة أن يتنبهوا، ويعلموا أنهم بين أمم ينظرون أعمالهم ويكتبون عنهم، ما يكتب عن الهمج وسكان البوادي[1]؟!

كان القاسمي يقول عن مشايخ الطرق: «هم كالعمود الكهربائي يبث الجنون في رؤوس الناس.. ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر مرض الصرع العام والذهول العقلي.. في حالات الذكر الخاصة بهم، وكان ينهى عن الاختلاط بأولئك المتصوفة أثناء طقوسهم، حتى لا يكثر سوادهم»[2].

وقد أنكر القاسمي كثيراً من البدع الموجودة في عصره، من ذلك وجود إمامين يتعاقبان في مسجد واحد، ومن ذلك بدعة المحمل المصري، وما يرافقه منمنكرات، كوجود الموسيقى العسكرية المرافقة للمحمل، ومرافقة مشايخ الطرق بطبولهم ومزاميرهم.

وقد فصّل القاسمي الحديث في البدع، وبيَّن أمرها في مقدمة كتابه: «إصلاح

---

(١) «جمال الدين القاسمي»؛ للدكتور نزار أباظة، (ص٣١٩ - ٣٢١)، و«جمال الدين القاسمي»؛ لظافر القاسمي، (ص٤٣٠ - ٤٣١).

(٢) «جمال الدين القاسمي وعصره»؛ لظافر القاسمي، (ص٣٥٣).

المساجد من البدع والعوائد»، فنفَّر منها ومن المبتدعين، وذكر غالب أنواع البدع التي شاعت في عهده، ودعا إلى الأخذ بالأصول: الكتاب والسنَّة(١).

ولم يمُت القاسمي، حتى تسلَّم الراية مدرسة طلابه من بعده، وعلى رأسهم: الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله، فخدموها حتى اتصلت مناهجها إلى اليوم(٢).

توفي الشيخ القاسمي رحمه الله في دمشق، ودفن في مقبرة الباب الصغير في **٢٣** جمادى الأولى **١٣٣٢**هـ، الموافق إلى **١٨** نيسان عام **١٩١٤**هـ.

رحمه الله رحمة واسعة، وأجزل له الأجر والثواب.

مؤلفاتـــه:

إن مَن يعلم سيرة الشيخ القاسمي، يعرف أنه كان يستثمر كل دقيقة تمرُّ به، حتى أنه ليَكتب في كل مكان يمكن أن يكتب فيه، فإنه كان يكتب في القطار وفي البيت، وفي العربة وفي النزهات.. وعليه فلا يُستغرب أن تربو مؤلفاته على المائة على قِصر عمره، إذ لم يبلغ الخمسين. وكان قد انقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامة، في التفسير وعلوم الشريعة والأدبن ونشر علوماً كثيرة معظمها مطبوع منها:

محاسن التأويل في التفسير في (١٧ مجلداً) بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، وله كتاب حياة البخاري، وميزان الجرح والتعديل، وإصلاح المساجد في البدع والعوائد، وتعطير المشام في مآثر دمشق الشام (٤ مجلدات مخطوط)، ودلائل

---

(١) المرجع السابق: (ص١٥٠)، ومقدمة كتابه: «إصلاح المساجد، وجمال الدين القاسمي»؛ للدكتور نزار أباظة، (ص٣٢٧).

(٢) «جمال الدين القاسمي»؛ للدكتور نزار أباظة، (ص٣٤٨ - ٣٥٠).

التوحيد، وشذرة من السيرة المحمَّديَّة، وتاريخ الجهمية والمعتزلة، والفتوى في الإسلام، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، موعظة المؤمنين تلخيص إحياء علوم الدين.

يقول الزركلي بأنه اطلع على اثنين وسبعين مصنفاً معظمها مطبوع، ويقول ولده الأستاذ ظافر القاسمي: أما كتبه التي ألَّفها فقد قاربت المئة وأقدم ما عثرت عليه من مؤلفاته يرجع تاريخها إلى سنة ١٢٩٩هـ ضمَّ فيها طرائف من مطالعاته في الأدب والأخلاق والتاريخ والشعر وله من العمر (١٦سنة) سمّاها: السفينة... أما الدكتور نزار أباظة فيقول: لقد بلغت مؤلفاته (١١٣ مؤلفاً) ما بين مجلد ورسالة[1].

أخيراً: لمعرفة منهج القاسمي في العقيدة والتفسير؛ تُنظر هذه الرسائل:

١- «جمال الدين القاسمي وآراؤه الاعتقادية»؛ للأستاذ علي محمود دبدوب، طُبعت عام (٢٠٠٧م).

٢- «منهج جمال الدين القاسمي في تقرير العقيدة»؛ للأستاذ محمد بن أحمد خضي. (لم تطبع).

٣- «المفسرون بين التأويل والإثبات»؛ للشيخ محمد المغراوي، (١/ ٢٢٥ وما بعدها).

٤- «اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر»؛ للدكتور فهد الرومي، (١/ ١٦١ - ١٨٢).

٥- «الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة»، (٣/ ٢٤٤٣-٢٤٥٠).

---

(١) «جمال الدين القاسمي»؛ للدكتور نزار أباظة، (ص٢٥٠ - ٢٨١).

ترجمة الشيخ محمد بهجة البيطار(١)

هو محمد بهجة بن محمد بهاء الدين البيطار، عالم فقيه، أديب مؤرخ مصلح، ولد بدمشق في أسرة دمشقية عريقة، جدها الأعلى من الجزائر.

كان والده عالماً أديباً، نشأ في حجره، وتلقى عليه مبادئ علوم الدين واللغة، وعلى أعلام عصره، مثل: جمال الدين القاسمي، ومحمد الخضر حسين، والشيخ محمد بدر الدين الحسني، والسيد محمد رشيد رضا، الذي انتفع به، وسار على طريقته(٢).

وكان تأثره بالشيخ جمال الدين القاسمي كبيراً، قال عاصم البيطار ولد الشيخ بهجة: «كان والدي ملازماً للشيخ جمال الدين، شديد التعلق به، وكان للشيخ رحمه الله أثر كبير، غرس في نفسه حب السلفية ونقاء العقيدة، والبُعد عن الزيف والقشور، وحُسن الانتفاع بالوقت والثبات على العقيدة، والصبر على المكاره في سبيلها، وكم كنت أراه يبكي وهو يذكر أستاذه القاسمي»(٣).

وقد اختير الشيخ «بهجة البيطار» في جمعية العلماء، ثم في رابطة العلماء في دمشق.

---

(١) نقلاً عن: «علماء الشام في القرن العشرين» للشيخ محمد حامد الناصر (ص١٦٦-١٧١)، وترجمة الشيخ البيطار رحمه الله معلومة مشهورة، من أوسعها: كتاب «محمد بهجة البيطار - حياته وآثار» للأستاذ عدنان الخطيب. وللأستاذ: علي الرضا الحسيني ترجمة مفردة له، بعنوان «محمد بهجة البيطار - بهجة الإسلام».

(٢) «تتمة الأعلام للزركلي» لمحمد خير رمضان يوسف (٢/ ٣٢٢)، و«رجال من التاريخ» للشيخ علي الطنطاوي، ص (٤١٢). وينظر: «علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (٢/ ٩١٨).

(٣) «جمال الدين القاسمي» لنزار أباظة، ص (٢١٥).

وتولى الخطابة والإمامة والتدريس في جامع «القاعة» في الميدان خلفاً لوالده، ثم في جامع «الدقاق» في الميدان أيضاً، واستمر فيه حتى وفاته.

تنقل في وظائف التدريس في: سوريا والحجاز ولبنان، كما أنه درَّس في الكليَّة الشرعية بدمشق: التفسير والأخلاق، ودرَّس كذلك في دار المعلمين العليا وفي كلية الآداب في دمشق. وبعد التقاعد قصر نشاطه على المحاضرات الجامعية والتدريس الديني.

وكان الشيخ عضواً في المجمع العلمي العربي، ومشرفاً على مجلته[١].

سافر الشيخ (بهجة) إلى الحجاز، وحضر مؤتمر العالم الإسلامي في مكة المكرمة عام ١٣٤٥هـ، وأبقاه الملك (عبدالعزيز)، فجعله مديراً للمعهد العلمي السعودي في مكة، ثم ولَّاه القضاء، فاشتغل به مدة ثم استعفاه، فولاه وظائف تعليمية، وجعله مدرساً في الحرم، وعضواً في مجلس المعارف، ثم دعي الشيخ بهجة لإنشاء دار التوحيد في الطائف، وأخذ معه ولديه: الدكتور يسار، من خبراء المال، والأستاذ عاصم الذي كان من أعلم مدرسي النحو، وأحسنهم طريقة، وقد اشتغل سنين في المملكة العربية السعودية[٢].

ويحدثنا الشيخ علي الطنطاوي عن علاقته بالشيخ بهجة البيطار وعن كرمه ومعتقداته وعلمه فيقول:

«كان الشيخ بهجة البيطار معلماً في مدرسة «أنموذج الميدان الابتدائية» عام ١٩٢١م، وكان يخطب الجمعة (بعد ذلك بسنوات) في جامع الدقاق»، فكان الطنطاوي يسمع خطبه ويعجب فيها أيما إعجاب.

---

(١) «تتمة الأعلام» لمحمد خير رمضان يوسف (٢/ ٣٢٣).

(٢) «رجال من التاريخ» للشيخ علي الطنطاوي، ص (٤١٢ - ٤١٣، ٤١٨).

يقول: «كان يخطب ارتجالاً، كان يلقي إلقاءً طبيعيًّا عاديًّا كما تُلقى المحاضرات»، «وصرتُ كلما استطعت، ذهبت إليه فصليت عنده، ثم سافر إلى الحجاز...».

«ثم عاد سنة ١٣٥٠هـ، إلى دمشق وإلى الخطبة في جامع الدقاق»[١].

ويتحدث الشيخ علي الطنطاوي عما تعلَّمه من معتقدات الشيخ بهجة، فيقول:

«لقد وجدتُ أن الذي أسمعه منه يصدم كل ما نشأت عليه، فقد كنت في العقائد على ما قرره الأشاعرة والماتريدية، وهو شيء يعتمد في تثبيت التوحيد من قريب أو بعيد على الفلسفة اليونانية، وكنت موقناً بما ألقوه علينا، وهو أن طريقة السلف في توحيد الصفات أسلم، وطريقة الخلف أحكم، فجاء الشيخ بهجة يقول: بأن ما عليه السلف هو الأسلم، والأحكم. وكنت قد نشأت على النفرة من ابن تيمية والهرب منه، بل وبغضه، فجاء يعظمه لي، ويحببه إليَّ، وكنت حنفيًّا متعصباً للمذهب الحنفي، وهو يريد أن أجاوز حدود التعصب المذهبي، وأن أعتمد على الدليل، لا على ما قيل...، وتأثرت به، وذهبت مع الأيام مذهبه مقتنعًا به، بعد عشرات من الجلسات والسهرات في المجادلات والمناظرات...»[٢].

ثم يقول الشيخ علي الطنطاوي: «وكان اتصالي بالشيخ بهجة قد سبَّب لي أزمة مع مشايخي؛ لأن أكثر مشايخ الشام ممن يميلون إلى الصوفية، وينفرون من الوهابية، وهم لا يعرفونها، ولا يدرون أنه ليس في الدنيا مذهب اسمه الوهابية، وكان عندنا جماعة من المشايخ يوصفون بأنه من الوهابيين، على

---

(١) «رجال من التاريخ»، ص (٤١٢ - ٤١٣).

(٢) المرجع السابق: ص (٤١٤).

رأسهم الشيخ محمد بهجة البيطار...»[١].

«ومن أعجب العجب، أن والد الشيخ بهجة كان صوفيًّا من غُلاة الصوفية، القائلين بوحدة الوجود، على مذهب ابن عربي، وابن سبعين والحلاج...»[٢].

أما صفاته: فيحدثنا الشيخ الطنطاوي عنها بمعرفة الخبير المطلع، فيقول متحدثاً عن كرمه:

«وكنت كلما حضرت خطبة الجمعة عنده، وانصرف إلى داره انصرف معه جماعة من الناس، فوجدوا المائدة معدَّة، ففي كل جمعة وليمة، فيبقون يتحدثون، ويستمعون إلى الشيخ، حتى يؤذن العصر، فيصلّون ويذهبون».

«بقيت أكثر من ثلث قرن أصلّي الجمعة عنده، أنا وعدد من الفضلاء، وكان في إحدى جلسات منزله بعد الجمعة، الأمير شكيب أرسلان، عرفته من قريب عظيماً في تواضعه وفي سيرته»[٣].

«كنا عند الشيخ بهجة، كأننا في بيوتنا، إن جعنا طلبنا الطعام، وإن نعسنا ذهبنا إلى الغرفة الأخرى لننام، وهو في الحالات كلها، مشرق الوجه، باسم الثغر، لين القول، فقوله درس، وسلوكه قدوة، ومجالسته متعة ما بعدها متعة، رحمه الله».

ثم يقول متحدثاً عن سلوك الشيخ بهجة:

«كان حلَّالاً للمشكلات، يستمتع بالنكتة ويقولها، لازمته أكثر من أربعين

---

(١) المرجع السابق: ص (٤١٦).
(٢) المرجع السابق: ص (٤١٦ - ٤١٧).
(٣) المرجع السابق: ص (٤١٤ - ٤١٥).

سنة، سافرت معه، شاركته في لجان التحكيم، وفي لجان رسمية، فكان في الحالات كلها الرجل الكامل الفاضل»[١].

«وكان مطلعاً على جوانب من علوم شتى، وملماً باللغة الفرنسية، فهماً وكتابة، درسها في المدرسة (العزرية) في دمشق، وهي مدرسة نصرانية»[٢].

توفي الشيخ بهجة غرة جمادى الآخرة ١٣٩٦هـ، الموافق ١٩٧٦م في دمشق، رحمه الله رحمة واسعة[٣].

وقد ترك عدة مؤلفات قيِّمة؛ من أبرزها:

- مسائل الإمام أحمد: لأبي داود السجستاني «تعليق».
- أسرار العربية: لابن الأنباري «تحقيق».
- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: للقاسمي، «تحقيق وتعليق».
- الرحلة النجدية الحجازية: صور من حياة البادية.
- الإسلام والصحابة الكرام بين السنَّة والشيعة.
- حياة شيخ الإسلام ابن تيمية: محاضرات ومقالات ودراسات.
- كلمات وأحاديث، بعنوان: الثقافتان الصفراء والبيضاء.
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: لجده عبدالرزاق البيطار، «تحقيق وتقديم».
- تفسير سورة يوسف.

---

(١) المرجع السابق: ص (٤١٩)
(٢) المرجع السابق: ص (٤١٥)
(٣) «تتمة الأعلام» (٢/ ٣٢٣)

- الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين، وهو شرح الأربعين العجلونية، تأليف جمال الدين القاسمي، «تقديم وتحقيق»[١].

---

(١) المرجع السابق: (٢/ ٣٢٣).

ترجمة الشيعي محمد حسين آل كاشف الغطاء[1]

هو محمد حسين بن علي بن محمد بن رضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء، أحد علماء الشيعة الإمامية، ولد في النجف سنة ١٢٩٤هـ.

درس علوم العربية والرياضيات وغيرها، وتتلمذ على يد الشيخ محمد كاظم اليزدي، والشيخ آغا رضا الهمداني.

درس الفلسفة وعلم الكلام على يد: الميرزا محمد باقر الاصطبهاناني، والشيخ أحمد الشيرازي، والشيخ محمد النجف آبادي.

صار مرجعاً للتقليد بعد وفاة أخيه الشيخ أحمد، حيث قلّده جماعة من الشيعة في التبت، والهند، وأفغانستان، وإيران، ومسقط، والقطيف، والعراق.

قضى في ربوع سوريا ولبنان ومصر ثلاث سنوات، ونشر في أمهات الصحف والمجلات عدد من المقالات والقصائد.

سافر إلى القاهرة في مصر عام ١٣٣١هـ، وبقي فيها زهاء ثلاثة أشهر، وحضر على أكابر علمائها، كشيخ الأزهر الشيخ سليم البشري، والشيخ محمد بخيت المطيعي.

ثم غادر مصر آخر في أواخر رجب عائدًا إلى العراق، وبعد انتهاء الحرب العالمية، رجع إلى النجف، لمزاولة أعماله في التأليف والتدريس.

---

(١) باختصار عن ترجمته المكتوبة بقلمه، والمنشورة في مقدمة كتابه «النفحات العنبرية في الطبقات الجعفرية»، (ص ١٢ - ١٨)، تحقيق: الدكتور جودت القزويني. وله ترجمة في: «الأعلام»، (٦/ ١٠٦ - ١٠٧).

من مؤلفاته:

الآيات البيّنات، أصل الشيعة وأصولها، الفردوس الأعلى، الأرض والتربة الحسينية، العبقات العنبرية، الاتحاد والاقتصاد، التوضيح في بيان ما هو الإنجيل، ومن هو المسيح، جنة المأوى، حاشية على التبصرة، حاشية على سفينة النجاة، حاشية على العروة الوثقى، الدين والإسلام، زاد المقلدين، سفينة النجاة، السياسة الحسينية، عين الميزان، المراجعات الريحانية، مقتل الحسين، الميثاق العربي الوطني، نقض الفتاوى الوهابية(!) ديوان الشعر... وغيرها.

مرض في أواخر حياته، فأدخل على أثر ذلك إلى مستشفى الكرخ في بغداد، ولكن صحته لم تتحسن، فقرروا نقله إلى مدينة «كرند» في غرب محافظة كرمانشاه الإيرانية، لغرض النقاهة، وبعد وصوله بثلاثة أيام توفي، وذلك بتاريخ ١٨ ذي القعدة ١٣٧٣هـ.



نقد عين الميزان

للشيخ

محمد بهجة البيطار رحمه الله

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام عَلَى من لا نبي بعده، وعَلى آله وصحبه، وتابعيه وحزبه.

وبعد؛ فإنَّ الاختلاف في المذاهب، والتباين في المشارب، أمر معروف في الأدوار، متمادٍ بتمادي الأعصار، لم تخل منه طائفة من العلماء، بل جميع الطوائف فيه على السواء، فهو موجود بين زعماء الاجتماع والعمران، كما أنَّه مشهود في علماء الأديان، وإنَّ أشده في أيام استبحار العلوم، والأخذ بالمنطوق منها والمفهوم؛ حيث تفترق أنظار النُّظار، وتتباين الأذهان والأفكار، وتختلف المآخذ والمدارك، ما بين آخذ بقول وآخر له تارك، وكل منهم يكافح عن قوله مكافحة الرجال، وينافح دونه منافحة الأبطال، اعتقادًا منه أنَّ قوله صواب، يدان الله به يوم الحساب، وهناك يكون المخطئ والمصيب، ولكل منهما من ثمرة اجتهاده نصيب.

ولقد قدّر أن يكون لكل فرقة أشياع، وأنصار وأتباع، نصروا مذهبهم، وأيَّدوا مشربهم، بيْدَ أنَّ بين هذه الفِرق فريقًا ضلُّوا سواء السَّبيل، واستنُّوا سُنَّة التَّفسيق والتَّضليل، وجعلوا يتنابزون بالألقاب، ونسوا ما يكتنفهم من الأخطاء في هذا الباب، حتَّى استشرى الشرُّ، واستفحل الأمرُ، وعظم الخطبُ، واشتدَّ الكربُ.

غير أنَّ الله سبحانه - وله المنة - قد قيض في كل عصر طائفة من مصلحي هذه الأمة، ظاهرين على الحق، ناهجين منهج الصدق، سالكين سبيل الإنصاف، نابذين طريق الاعتساف، يسعون لتعديل الغالين، من سائر فِرق المسلمين، وإنَّ من كبارهم وأعاظمهم في هذا العصر أستاذنا الإمام، عالم

الشام، وعلَم الأعلام، السيد محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي الحسيني - حفظه الله - وأمتعنا بطول بقاه، فهو ما زال يكتب ويؤلف، ويحرر ويصنف، ويدعو الناس إلى التآلف والتعارف، والتراحم والتعاطف، ونبذ الضغائن والأحقاد، والهدي إلى سبيل الرشاد، والأخذ بكل قول سديد، من أيِّ فِرقة من فِرق التوحيد، وقد بينت قوله، أدام الله فضله، في أوائل منظومتي (الطامة الكبرى على صاحب الرائية الصغرى)(١).

ولقد ألف في هذه المدة كتابًا سماه «ميزان الجرح والتعديل»، نشره في «مجلة المنار الغراء»، ثم جُمع منها، وأُفرد بالطبع على حدة، بحث فيه بحثًا علميًّا فلسفيًّا تاريخيًّا اجتماعيًّا أخلاقيًّا، بيَّن فيه منشأ النبز بالابتداع، وأنَّه مُضِرٌّ في ناموس العمران والاجتماع، وأنَّ التحمل عن المبدَّعين مذهب كبار المحدثين، وذَكر - أيده الله - عقوق الخلف بهجر مذهب السلف، إلى آخر ما أودعه - حفظه الله - من المسائل العلمية، والمباحث الأخلاقية الاجتماعية.

وإنَّما قصد بذلك لمَّ شعث الأمة، والاقتداء بمن سلف من الأئمة،

---

(١) قال الشيخ في الهامش: «رسالة للنبهاني، رتبها على خمسة فصول، زعم في الفصل الأول منها أنَّ الأمة أجمعت على تقليد الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم، وفسَّق أو كفَّر من لم يقلد واحدًا منهم، وذمَّ في الفصل الثاني والثالث والرابع السيد صاحب المنار، وشيخه الأستاذ الإمام، وشيخ شيخه السيد الأفغاني، وذمَّ في الفصل الخامس علَّامة العراق السيد محمود شكري الآلوسي الشهير، وقد رددت على فصولها الخمسة في منظومتي (الطامة الكبرى)، وأرسلتها لمولانا الآلوسي المنوه به لتُطبع مع الردود التي ينظمها أفاضل علماء، وأدباء العراق في الرد على الشيخ النبهاني» اهـ. قلتُ: وقد أوردت منظومة الشيخ البيطار في رسالتي: «ست منظومات في الرد على الصوفي النبهاني». مع التنبيه إلى أن النبهاني قد ذم في رائيته - أيضًا - دعوة الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله. (س).

والاستمساك بعروة الدين، والاعتصام بحبل الله المتين، علمًا منه بأنَّ الانفصام والانحلال يقود إلى البوار والاضمحلال.

ولقد وقف على هذا الكتاب حضرة الأستاذ الجليل، والحبر النبيل[(١)]، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، أحدُ أعلام النجف الأشرف، فنقَدَ بعض أبحاثه برسالة سماها «عين الميزان»، طبعت وحدها بعد أن نشر بعضها في آخر عدد من «العرفان»[(٢)]، ولقد تشرفتُ بمطالعتها، فألفيتها تشفُّ عن فضل كاتبها وعلمه، وقوة رسوخه ودقة فهمه، وأدب زائد في المناظرة، وإنصاف في البحث والمحاورة، بيْدَ أنَّه - حفظه الله - قد تطرف في بعض أبحاثه للتَّكفير أو التَّفسيق، الذي هو خلاف ما عليه أهل التَّحقيق، وهو لا ينبغي أن يكون بين أهل الملة، كما سنوضحه بالأدلة.

ولما كانت أشغال أستاذنا كثيرة، وأعماله وفيرة، ووقته غير متسع لتحقيق الرسالة وتدقيقها، والمناقشة في مواضع النظر منها، قمت نائبًا عنه، بعد أن استأذنت منه، فها أنا ذا أُناقش حضرة الأستاذ بما لاحظت عليه، وأضع مُناقشتي بين يديه، فإن حسنت لديه فذاك، وإلا فأكون بذلت جهدي، وأبديت ما

---

(١) ماكان ينبغي أن يُضفي الشيخ هذه الألقاب على الرافضي ساب الصحابة رضي الله عنهم. إضافة إلى أن مثل هذه المصانعة لا تجدي معهم نفعًا - كما سبق -. (س).

(٢) ثم طُبعت بمطبعة العرفان؛ بصيدا، عام ١٣٣٠هـ. وقرّظتها مجلة «لغة العرب»؛ أنستاس الكرملي، (٢/ ٥٢٨)؛ فاستاء الشيخ القاسمي من هذا التقريظ، وقال في رسالة له للألوسي: «ولقد عجبتُ منه - أي الكرملي - لمّا قرّظ كتاب «عين الميزان» للشيعي، وكتب ما كتب من تهنئته بظفره علينا وانتصاره! مع أنه لم يتذوق طعم هذا البحث، ولا يتذوقه ما دام نصرانيًا قُحًا». فرد عليه الألوسي بقوله: «قد وبّخت كاظمًا الدجيلي الرافضي الأصل على تقريظ كتاب الرافضي؛ فإنه هو الذي قرّظه، لا أنستاس». (انظر: الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي، ص ٢٢٩ و٢٣٣). (س).

عندي، ويعلم الحق أنِّي لم أكن لأكتب هذه الرسالة اتباعًا للأهواء النفسية، ولا أخذًا بالحمية الجاهلية، معاذ الله ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦]، ولكنِّي كتبتها مشيًا مع الحق الذي هو أحق أن يتبع، وإنَّا نسأله تعالى أن يهدينا إلى الصواب، ويلهمنا الحكمة وفصل الخطاب، إنَّه هو الكريم الوهاب.

فصل

قال الأستاذ النجفي[1]: «إنَّ الذي أوقفني موقف الحيرة والدهشة، ودعاني إلى بثِّ هذه النَّفثة، هو ذُهول شيخنا القاسمي عن لازم ما نقله مختارًا له عن ابن حجر في «شرح النخبة» من قوله: «والمعتمد أنَّ الذي تُردُّ روايته مَن أنكر أمرًا متواترًا من الشريعة، معلومًا من الدين بالضرورة واعتقد عكسه» اهـ، يا لله للعجب، يا لله للمسلمين، ما أدري أي أمر أشد تواترًا في الشريعة، وأكثر معلومية من الدين بالضرورة من وجوب مودَّةِ أُولي القربى وأهل بيت النبوة. ومن جرَّاء ذلك دفعتني الحيرة إلى العجب، والعجب إلى الحيرة، وطفقت لا أدري هل إنَّ القاسمي لا يرى هذا أمرًا متواترًا في الشريعة، معلومًا من الدين بالضرورة، أم إنَّه لا يرى أنَّ ابن حطان كان لا يعتقد عكسه ويدين بخلافه؟!

قال: وإلا فمع بداهة هذين الأمرين: وجوب الموالاة لأهل البيت بالضرورة، وبغض ابن حطان وسائر الخوارج لهم بالبداهة، كيف يحكم أولًا بالتخريج عنه، والتعويل عليه؟».

---

(١) (ص ٣).

أقول: للمتواتر شروط مبسوطة[١] في كتب المصطلح وأصول الفقه، وحاصلها:

١- عدد كثير أحالت العادة تواطؤهم وتوافقهم على الكذب.

٢- رووا ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء.

٣- كان مستند انتهائهم الحس.

٤- انضاف إلى ذلك أن يصحب خبرهم إفادة العلم لسامعه.

هذا حاصل ما ذكره أئمة المصطلح والأصول في شروط المتواتر، فهل بلغت الآثار الواردة في مودَّة آل البيت ﷺ هذه الدرجة، واستجمعت هذه الشروط حتى تفيد العلم اليقيني للسامع؟

قال الإمام فخر الإسلام[٢]: «الخبر المتواتر كالمعاين المسموع منه ﷺ؛ وذلك لأنه يرويه قوم لا يُحصى عددهم، ولا يتوهم تواطؤهم على الكذب لكثرتهم، وعدالتهم، وتباين أماكنهم، ويدوم هذا الحد؛ فيكون آخره كأوله، وأوله كآخره وأوسطه.

قال: وذلك مثل نقل القرآن، والصلوات الخمس، وعدد الركعات، ومقادير الزكاة، وما أشبه ذلك اهـ.

وقد نقل في مسلّم الثبوت وشرحه أيضًا عن ابن الصلاح رحمه الله قوله بعدم وجود المتواتر.

---

(١) انظر: «نزهة النظر» (ص ٢٦ - ٣٣ مع حاشية ابن قطلوبغا)، و«النكت على نزهة النظر»؛ لعلي الحلبي (ص ٥٦). (س).

(٢) شرح مسلَّم الثبوت، (٢/ ١١٩).

قال: إلا أن يُدعى بحديث: «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[١]، وعدَّد غيره الأحاديث التي تواترت لفظًا ومعنىً فوُجدت قليلة لم تتجاوز عدد الأصابع.

وليس المقصود نفي وجوب مودَّة آل البيت ﷺ، كيف وقد ثبتت بالأحاديث الصحيحة، والآثار الرجيحة، ولكنها لا تلحق بالضروريات، ولا تكون في مصاف البديهيات.

وقوله: «وإلا فمع بداهة هذين الأمرين: وجوب الموالاة لأهل البيت بالضرورة، وبغض ابن حطان وكل خارجي لهم بالبداهة، كيف يحكم أولًا بتخريج الرواية عنه والتعويل عليه»، فقد قدمنا أنَّ موالاتهم ليست معلومة الوجوب من الدين بالضرورة، إذ إنَّه يلزم أن تكون الآثار قد نُقلت إلينا نقلًا متواترًا - على نحو ما قدمنا - حتى تفيد الوجوب بالضرورة، وقد انتفى اللازم فانتفى الملزوم، ثم لا نسلم أنَّ ابن حطان وكل خارجي يُبغضون أهل البيت ﷺ جميعهم، وإنما يبغضون عليًّا ﷺ ومن تولاه فقط، سواء كان من أهله أو غيرهم.

قال الإمام البغدادي[٢] رحمه الله: «وقد اختلفوا فيما يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها، فذكر الكعبي في مقالاته: أنَّ الذي يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها إكفار علي وعثمان والحكمين، وأصحاب الجمل، وكل من رضي بتحكيم الحكمين، والإكفار بارتكاب الذنوب، ووجوب الخروج على الإمام الجائر.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٧)، ومسلم (٧٢).
(٢) الفَرق بين الفِرَق، (ص٥٤).

وقال شيخنا أبو الحسن[١]: الذي يجمعها إكفار علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين، ومن رضي بالتحكيم، وصوب الحكمين أو أحدهما، ووجوب الخروج على السلطان الجائر.

قال: ولم يرضَ ما حكاه الكعبي إجماعهم على تكفير مرتكبي الذنوب» اهـ.

وقال الإمام الشهرستاني[٢]: «ويجمعهم - يعني: فِرق الخوارج - القول بالتبري عن عثمان وعلي، ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك، ويُكفِّرُون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنَّة حقًّا واجبًا» اهـ.

والمقصود: أنَّهم يُبغضون عليًّا ومن تولاه، ورأى رأيه، وشهد حروبه من أهل البيت عليهم السلام ومن غيرهم، بسبب تلك الشبهة التي دخلت عليهم في دينهم بعد التحكيم، وشهدوا على أنفسهم أنَّهم كفروا إذ حكَّموا الرجال ثم تابوا وأنابوا، ولما جاءهم علي عليه السلام إلى النهروان لينظر في أمرهم أخبروه بأنهم قد جدَّدوا إيمانهم بعد أن كفروا بالتحكيم، وأمروه بأن يستغفر من ذنبه، وينيب إلى ربه، ويجدد إيمانه، فقال لهم: أَبَعد إيماني برسول الله ﷺ وهجرتي معه، وجهادي في سبيل الله، أشهد على نفسي بالكفر؟ «لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين»، فهذه هي الشبهة التي دخلت عليهم في الدين، وعدُّوا أنفسهم من أجلها كافرين، وأبغضوا عليًّا بسببها بعد أن كانوا يحبونه حبًّا جمًّا، ومنهم من حارب معه في وقعتي الجمل وصفين، وأبغضوا الحكمين، وكل من رضي بالتحكيم من آل البيت وغيرهم، وأصحاب الجمل، إلى آخر ما آثرناه عن البغدادي والشهرستاني.

---

(١) الأشعري. في «مقالات الإسلاميين» (١/ ١٦٧ وما بعدها). (س).

(٢) الملل والنِحل، (ص ١٥٦).

ومنه يُعلم أنَّهم لم يبغضوا آل البيت عليهم السلام كما ادَّعى الأستاذ، سواء منهم المائت والشاهد، والغابر والحاضر، بل كان بغضهم مقصورًا على من شهد الحرب، ورضي بالتحكيم منهم ومن غيرهم، وليس ذلك إلا لهذه الشبهة التي دخلت عليهم، وسيمر بك زيادة إيضاح إن شاء الله في الفصل الذي أفردناه لذكر ما للخوارج وما عليهم.

فصل

قال الأستاذ النجفي[1]: «أما كون محبة أهل البيت عليهم السلام من الواجبات الضرورية في الشريعة الإسلامية، فقل لا أسألكم عليه دليلًا بعد قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]».

أقول: اختلف السلف رضي الله عنهم في تأويل هذه الآية على أقوال ذكرها الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في «تفسيره»، فقال[2] رحمه الله بعد قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣]: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للذين يمارونك في الساعة من مشركي قومك: لا أسالكم أيها القوم على دعايتكم إلى ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئتكم به، والنصيحة التي أنصحكم، ثوابًا وجزاءً وعوضًا من أموالكم تعطوننيه إلَّا المودَّة في القربى.

---

(١) (ص ٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٥ - ٥٠٢).

قال: واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰٓ﴾، فقال بعضهم: معناه إلا أن تودُّوني في قرابتي منكم، وتَصلوا رحمي بيني وبينكم، ثم رُوى ذلك - بطرق مختلفة - عن ابن عباس، وعكرمة، وأبي مالك، وقتادة، ومجاهد، والسدي، والضحاك، وابن زيد، وعطاء بن دينار. والمتون التي أوردها رحمه الله عن الأئمة المذكورين مختلفة اللفظ، متفقة المعنى، على كون خطابه ﷺ مع مشركي قومه.

قال: وقال آخرون: قل لمن تبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكم به أجرًا إلا أن تودُّوا قرابتي: وذُكر ذلك عن أبي الديلم، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وعمرو بن شعيب.

قال: وقال آخرون: قل لا أسألكم أيها الناس على ما جئتكم به أجرًا إلا أن توددوا إلى الله! وتتقربوا بالعمل الصالح والطاعة، وساق ذلك بأسانيد عن ابن عباس، والحسن، وقتادة.

قال: وقال آخرون: بل معنى ذلك إلَّا أن تصلوا قرابتكم، وحُكِي ذلك عن عبد الله بن القاسم، ثم قال - رحمه الله تعالى - بعد أن سرد أقوالهم: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، وأشبهها بظاهر التنزيل: قول من قال: معناه: قل لا أسألكم عليه أجرًا يا معشر قريش إلا أن تودوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم.

قال: وإنَّما قلت هذا التأويل أولى بتأويل الآية - لدخول (في) في قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰٓ﴾، ولو كان معنى ذلك على ما قاله من قال: إلَّا أن تودوا قرابتي، أو تقربوا إلى الله، لم يكن لدخول (في) في الكلام في هذا الموضع وجه معروف، ولكان التنزيل: (إلا مودة القربى)، إن عني به الأمر بمودة قرابة رسول الله ﷺ، أو (إلَّا المودة بالقربى)، أو (والقربى)، إن عني به التودد والتقرب.

قال: وفي دخول (في) في الكلام أوضح الدليل على أنَّ معناه إلا مودتي في قرابتي منكم، وأنَّ الألف واللام في المودة أدخلتا بدلًا من الإضافة، كما قيل: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١]» انتهى.

وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب تفسير القرآن من «صحيحه»[١] ما نصه: باب قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، قال: سمعت طاووسًا، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس: عجلتَ، إنَّ النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلَّا كان له فيهم قرابة، فقال: «**إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة**» اهـ.

وقال الإمام ابن تيمية[٢] في تعديد وجوه بطلان الاستدلال بهذه الآية:

الوجه الثالث: أنَّ هذه الآية في سورة الشورى، وهي مكية باتفاق أهل السنة، بل جميع آل حم مكيات، وكذلك آل طس، ومن المعلوم أنَّ عليًّا إنَّما تزوج فاطمة بالمدينة بعد غزوة بدر، والحسن وُلد في السَّنة الثالثة من الهجرة، والحسين في السَّنة الرابعة، فتكون هذه الآية قد نزلت قبل وجود الحسن والحسين بسنين متعددة، فكيف يفسر النبي ﷺ الآية بوجوب مودَّة قرابة لا تُعرف ولم تُخلق؟!

الوجه الرابع: أنَّ تفسير الآية الذي في الصحيحين عن ابن عباس يناقض ذلك؛ ففي الصحيحين عن سعيد بن جبير، قال: سُئل ابن عباس عن قوله

---

(١) حديث (٤٨١٨).

(٢) منهاج السنة، (٧/ ٩٩ - ١٠٣).

المتنكر في زي مسلم:

«إن الواجب أن نحترمك لعدة أسباب:

١- لأنك مسلم والمسلمون إخوة.

٢- ولأنك ضيف، وقد قال رسول الله ﷺ: «**أكرموا الضيف**».

٣- ولأنك طالب علم، والإسلام يؤكد على إكرام طالب العلم.

٤- ولأنك تريد الكسب، وقد ورد نص بأنه الكاسب حبيب الله.

وقد أُعجبت أنا بهذه الأمور أيما إعجاب، وقلت في نفسي يا ليت كانت المسيحية تعي مثل هذه الحقائق النيرة»[١].

«لقد كنت أيام إقامتي في الآستانة أنام عند خادم المسجد لقاء ما أعطيه من المال، وكان إنسانًا عصبي المزاج... أما سائر الأيام فقد كنت أذهب إلى نجار هناك اشتغل عنده لقاء أجر زهيد، كان يدفعه لي أسبوعيًا، وحيث كان عملي في فترة الصباح فقط، فقد كان يجري لي نصف أجور سائر عماله، وكان اسم النجار (خالد)... وكان إذا خلى بي طلب مني أن يلوط بي! وأظن أنه كان يعمل ذلك مع بعض آخر من عماله، حيث كان أحد العاملين شابًا جميلًا من سلانيك، وكان يهوديًا قد أسلم، فكان يصحبه معه أحيانًا إلى خلف المحل الذي كان مخزنًا لأخشابه، ويتظاهران أنهما يذهبان هناك لإصلاح المخزن، لكني كنت أعلم أنهما يذهبان لقضاء الحاجة»[٢].

---

(١) (ص ١٣ - ١٥).

(٢) (ص ١٦ - ١٧).

«بعد إتمام سنتين من مكثي في الآستانة استأذنت للعودة إلى وطني. . وقد جرت العادة - طيلة مكثي في الآستانة - أن أُقدم كل شهر تقريرًا عن حالي وعن التطورات وعما شاهدته إلى وزارة المستعمرات»(١).

وبعد عودة همفر من مهمته بالأستانة، قال له سكرتير وزارة المستعمرات البريطانية:

«إن مهمتك يا همفر في السفرة القادمة أمران:

١- أن تجد نقطة الضعف عند المسلمين، والتي نتمكن بها من أن ندخل في جسمهم، ونبدد أوصالهم، فإن أساس النجاح على العدو هو هذا.

٢- أن تكون أنت المباشر لهذا الأمر إذا ما وجدت نقطة الضعف، فإن قدرت على المهمة فسوف أطمئن بأنك أنجح العملاء، وستستحق وسام الوزارة»(٢).

«بقيت في لندن مدة ستة أشهر وتزوجتُ بابنة عمي. . وإذا بالأوامر الصارمة تصدر من الوزارة في أن أتوجه إلى إقليم العراق، البلد العربي الذي استعمرته الخلافة منذ زمن طويل»(٣).

«وبعد ستة أشهر وجدت نفسي في البصرة من العراق»(٤).

يتذكر همفر مقولة سكرتير وزارة المستعمرات له: «مهمتك في هذه السفرة أن تتعرف على هذه النزاعات بين المسلمين، وتعرف البركان

---

(١) (ص ١٨).
(٢) (ص ٢١ - ٢٢).
(٣) (ص ٢٢).
(٤) (ص ٢٣).

المستعد للانفجار منها، وتزود الوزارة بالمعلومات الدقيقة حول ذلك، وإن تمكنت من تفجير النزاع كنت في قمة الخدمة لبريطانيا العظمى»(١).

«لما وصلت إلى البصرة ذهبت لتوي إلى أحد المساجد، وكان المسجد لعالم من أهل السنة عربي الأصل واسمه الشيخ عمر الطائي فتعرفت عليه وتلاطفت معه(٢)». إلا أن همفر لم يرتح معه.

«وعلى كلٍ فلم أجد بدًا من أن أنسحب عن مسجد الشيخ عمر إلى خانٍ كان محل الغرباء والمسافرين، وقد استأجرت غرفة في الخان، وكان صاحب الخان رجلًا أحمق يسلب راحتي كل صباح، فقد كان يأتي أول الفجر إلى باب الغرفة، ويطرقه بعنف لأقوم لصلاح الصبح، ثم يأمرني بقراءة القرآن إلى طلوع الشمس، ولما قلت له إن قراءة القرآن ليست واجبة، فلماذا هذا الإصرار؟ قال: بأن من ينام في هذا الوقت يجلب الفقر والنكبة للخان، ولأهل الخان، وحيث لم يكن لي بد من إجابته إذ هددني بالطرد إن لم أعمل بما يقول، صرت مجبورًا على أن أصلي أول الآذان، ثم أتلو القرآن أكثر من ساعة كل يوم»(٣). إلا أن همفر أيضًا لم يرتح عنده - أيضًا -.

«وأخيرًا رضخت لأمر الأفندم، ووجدت مكانًا عند نجار تعاقدت معه أن أعمل كعامل عنده بأجرة زهيدة، ويكون أكلي ونومي أيضًا عنده.. وكان رجلًا شهمًا شريفًا، عاملني كأحد أولاده، وكان اسمه (عبدالرضا)، وكان شيعيًا فارسيًا من أهالي خراسان»(٤).

---

(١) (ص ٢٦).

(٢) (ص ٢٧).

(٣) (ص ٢٨).

(٤) (ص ٢٩ - ٣٠).

«تعرفت على شاب كان يتردد على هذا الدكان يعرف اللغات الثلاث: التركية الفارسية والعربية، كان في زي طلبة العلوم الدينية، وكان يسمى بـ (محمد بن عبدالوهاب)، وكان شابًا طموحًا للغاية عصبي المزاج، ناقمًا على الحكومة العثمانية، أما حكومة فارس فلم يكن له شأن بها، وكان سبب صداقته مع صاحب المحل (عبدالرضا) أن الاثنين كانا ناقمَين على الخليفة، وإني لا أعلم من أين هذا الشاب يعرف اللغة الفارسية، مع أنه كان من أهل السنة، وكيف تصادق مع (عبدالرضا الشيعي)؟ إلا أن كلا الأمرين لم يكن غريبًا، ففي البصرة يلتقي السني بالشيعي، وكأنهما إخوة، كما يعرف كثير من القاطنين في البصرة اللغتين الفارسية والعربية، وأن كثيرًا منهم يعرف أيضًا اللغة التركية.

كان محمد عبدالوهاب شابًا متحررًا بكل معنى الكلمة، لا يتعصب ضد الشيعة- كما كان هو الحال عند غالب أهل السنة، حيث يتعصبون ضد الشيعة، حتى أن جماعة من مشايخ أهل السنة يُكفّرون الشيعة ويقولون إنهم ليسوا مسلمين- كما أنه لم يكن يرى أي وزن لأتباع المذاهب الأربعة المتداولة بين أهل السنة، ويقول: إنها ما أنزل الله بها من سلطان»[1].

«وكان الشاب الطموح محمد يقلد فهم نفسه في فهم القرآن والسنة، ويضرب بآراء المشايخ، لا مشايخ زمانه والمذاهب الأربعة فحسب، بل بآراء أبي بكر وعمر أيضًا عرض الحائط إذا فهم هو من الكتاب على خلاف ما فهموه»[2].

---

(١) (ص ٣٠ - ٣١).

(٢) (ص ٣٢).

ثم نقل همفر[١] حوارًا جرى بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأحد علماء الشيعة عن صحة مذهب الشيعة.

ثم قال[٢]:

«لقد وجدت في محمد عبدالوهاب ضالتي المنشودة، فإن تحرره، وطموحه، وتبرمه من مشايخ عصره، ورأيه المستقل الذي لا يهتم حتى بالخلفاء الأربعة أمام ما يفهمه هو من القرآن والسنة، كان أكبر نقاط الضعف التي كنت أتمكن أن أتسلل منها إلى نفسه، وأين هذا الشاب المغرور من ذلك الشيخ التركي الذي درست عنده في تركيا، فإنه كان مثال السلف، كالجبل لا يحركه شيء، إنه كان إذا أراد أن يأتي باسم أبي حنيفة - وكان الشيخ حنفي المذهب- قام وتوضأ ثم ذكر اسم أبي حنيفة، وإذا أراد أن يأخذ كتاب البخاري - وهو كتاب عظيم عند أهل السنة يقدسونه أيما تقديس - قام وتوضأ ثم أخذ الكتاب.

أما الشيخ محمد الوهاب فكان يزدري بأبي حنيفة أيما ازدراء، وكان يقول عن نفسه: «إنني أكثر فهمًا من أبي حنيفة»، وكان يقول: «إن نصف كتاب البخاري باطل»!

لقد عقدت بيني وبين محمد أقوى الصلات والروابط، وكنت أنفخ فيه باستمرار وأبيّن له أنه أكثر موهبة من علي وعمر! وأن الرسول لو كان حاضرًا لاختارك خليفة له دونهما، وكنت أقول له دائمًا: «آمل من تجديد

---

(١) (ص ٣٣ - ٣٤).

(٢) (ص ٣٤ - ٣٥).

الإسلام على يدك، فإنك المنقذ الوحيد الذي يُرجى به انتشال الإسلام من هذه السقطة».

وقد قررت مع محمد أن نناقش في تفسير القرآن على ضوء أفكارنا الخاصة، لا على ضوء فهم الصحابة والمذاهب والمشايخ، وكنا نقرأ القرآن، ونتكلم عن نقاط منها، كنت أقصد من ورائها إيقاع محمد في الفخ، وكان هو يسترسل في قبول آرائي؛ ليُظهر نفسه بمظهر المتحرر، وليجلب ثقتي أكثر فأكثر.

ثم ذكر[(١)] بعض محاوراته معه حول مسائل شرعية، منها: «زواج المتعة»! ثم قال[(٢)]:

«ولما وجدت سكوته دليل الاقتناع، وقد أثرت فيه الغريزة الجنسية - ولم تكن له إذ ذك زوجة -، قلت له: ألا نتحرر أنا وأنت ونتخذ متعة نستمتع بها؟ فهز رأسه علامة الرضا، وقد اغتنمت أنا هذا الرضا أكبر اغتنام، وقررت موعدًا لآتي إليه بامرأة ليتمتع بها، وكان همي أن أكسر خوفه من مخالفة الناس، لكنه اشترط عليّ أن يكون الأمر سرًا بيني وبينه، وأن لا أخبر المرأة باسمه، فذهبت فورًا إلى بعض النساء المسيحيات اللاتي كنّ مجندات من قبل وزارة المستعمرات لإفساد الشباب المسلم، ونقلت لها كامل القصة، وجعلت لها اسم (صفية)، وفي يوم الموعد ذهبت بالشيخ محمد إلى دارها، وكانت الدار خالية إلا منها، فقرأنا أنا والشيخ صيغة العقد لمدة أسبوع، وأمهرها الشيخ نقدًا ذهبيًا، فأخذت أنا من

---

(١) (ص ٣٥ - ٣٦).

(٢) (ص ٣٦).

الخارج و صفية من الداخل، نتراوح على توجيه الشيخ محمد عبدالوهاب.

وبعد ما أخذت صفية من محمد كل مأخذ، وتذوق محمد حلاوة مخالفة أوامر الشريعة تحت غطاء الاجتهاد والاستقلال في الرأي والحرية، وفي اليوم الثالث من المتعة أجريت مع محمد حوارًا طويلًا عن عدم تحريم الخمر، وكلما استدل بالآيات القرآنية والأحاديث زيفتها.. - إلى أن قال(١) -: أخذ يسمعني محمد بكل قلبه، ثم تنهد وقال: بل ثبت في بعض الأخبار أن عمر كان يكسر الخمر بالماء ويشربها، ويقول إن سكرها حرام، لا إذا لم تكن تُسكر، ثم أردف الشيخ قائلًا: وكان عمر صحيح الفهم في ذلك؛ لأن القرآن يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، فإذا لم تُسكر الخمر لم تفعل هذه الأمور التي ذُكرت في الآية، وعليه فلا نهي عن الخمر إذا لم تكن مسكرة.

أخبرتُ صفية بما جرى، وأكدتُ عليها أن يُسقى الشيخ في هذه المرة خمرة مغلظة؛ ففعلت، وأخبرتني بعد ذلك أن الشيخ شرب حتى الثمالة، وعربد، وجامعها عدة مرات في تلك الليلة، وهكذا استوليت أنا وصفية على الشيخ استيلاءً كاملًا.

ويا لها من روعة تلك الكلمات الذهبية التي قالها لي وزير المستعمرات حين ودعته: «إنا استرجعنا أسبانيا من الكفار (يقصد المسلمين) بالخمر والبغاء، فلنحاول أن نسترجع سائر بلادنا بهاتين القوتين العظيمتين».

ثم ذكر همفر(٢) أنه تناقش مع الشيخ عن فرضية الصوم والصلاة؛ حتى

---

(١) (ص ٣٧ - ٣٨).

(٢) (ص ٣٨ - ٤٠).

أقنعه بعدم فرضيتهما؛ فاقتنع! ثم قال:

«وهكذا أخذت أسحب رداء الإيمان عن عاتق الشيخ شيئًا فشيئًا، وأردت ذات مرة أن أناقش حول الرسول، لكنه صمد في وجهي صمودًا كبيرًا، وقال لي: إن تكلمت بعد ذلك حول هذا الموضوع قطعت علاقتي بك، وخشيت أن ينهار كل ما بنيته، من أجل ذلك أحجمت عن الكلام حول الرسول.

لكن أخذت في إذكاء روحه في أن يكوّن لنفسه طريقًا ثالثًا غير السنة وغير الشيعة، وكان يستجيب لهذا الإيحاء كل استجابة؛ لأنه كان يملأ غروره وتحرره.

وبفضل صفية التي دامت علاقتها معه بعد الأسبوع أيضًا في متعات جديدة، تمكنا في الأخذ بقيادة الشيخ كاملًا.

وذات مرة قلت للشيخ: هل صحيح أن النبي آخى بين أصحابه؟ قال: نعم. قلت: هل أحكام الإسلام وقتية أم دائمة؟ قال: بل دائمة؛ لأن الرسول يقول: «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة»، قلت: إذن فلنتآخي أنا وأنت، فتواخينا، ومنذ ذلك الحين كنت أتبعه في كل سفر وحضر، وكنت أهتم لأن تأتي الشجرة التي غرستها ثمارها التي صرفت لأجلها أثمن أوقات شبابي.

وكنت أكتب النتائج إلى الوزارة كل شهر مرة، كما كانت عادتي منذ أن خرجت من لندن- وكان الجواب يأتيني بالتشجيع الكافي، فكنت أنا ومحمد نسير في الطريق الذي رسمناه بخطى سريعة، ولم أكن أفارقه لا في السفر ولا في الحضر، وكانت مهمتي أن أربي فيه روح الاستقلال والحرية

وحالة التشكيك، وكنت أبشره دائمًا بمستقبل زاهر، وأمدح فيه روحه الوقادة، ونفسه النقادة، ولفقت له ذات مرة حلمًا، وقلت له: إني رأيت البارحة في المنام رسول الله- ووصفته بما كنت سمعته من خطباء المنابر - جالسًا على كرسي، وحوله جماعة من العلماء، لم أعرف أحدًا منهم، وإذا بي أراك قد دخلت ووجهك يُشرق نورًا، فلما وصلت إلى الرسول ﷺ، قام إجلالًا لك، وقبّل بين عينيك، وقال لك: يا محمد، أنت سميّي ووارث علمي، والقائم مقامي في إدارة شؤون الدين والدنيا. فقلتَ أنت: يا رسول الله إني أخاف أن أُظهر علمي على الناس؟ قال رسول الله ﷺ لك: : لا تخف إنك أنت الأعلى!

فلما سمع محمد بالمنام كاد أن يطير فرحًا، وسألني مكررًا: هل أنت صادق في رؤياك؟ وكلما سأل أجبته بالإيجاب، حتى اطمئن، وأظن أنه صمم من ذلك اليوم على إظهار أمره».

«في هذه الأيام جاءتني الأوامر من لندن على أن أتوجه إلى (كربلاء) و (النجف)، مهوى قلوب المسلمين الشيعة ومركز علمهم وروحانيتهم، ولهذين البلدين قصة طويلة»[(١)].

«ومن الحلة ذهبت إلى النجف في زي تاجر من تجار آذربيجان، وائتلفت برجال الدين، وأخذت أراودهم، وحضرت مجالس دروسهم، وأعجبت بهم أيما إعجاب لصفاء روحهم، وغزارة علمهم، وشدة تقواهم، لكن وجدتهم قد مر عليهم الزمن، ولا يفكرون في تجديد أمرهم.

---

(١) (ص ٤١).

١- فقد كانوا على شدة عدائهم للسلطة في تركيا.. لا يُفكرون في منازلتها وفي التخلص منها.

٢- كما أنهم كانوا قد حصروا أنفسهم في علوم الدين، أمثال قساوستنا في عصر الجمود، وقد تركوا علوم الدنيا إلا بمقدار قليل لا ينفع.

٣- وكذلك وجدتهم لا يفكرون في ما يجري حولهم في العالم.

وقد قلتُ في نفسي مساكين هؤلاء فإنهم في سبات، حيث الدنيا في يقظة، وسيأتي يوم يجرفهم السيل، وقد حاولت مكررًا استنهاضهم لمحاربة الخلافة، فلم أجد فيهم أذنًا صاغية، وكان بعضهم يسخر مني وكأني أقول له اهدم الكون، فقد كانوا ينظرون إلى الخلافة كأنها مارد لا يمكن أن يقصر إلا إذا ظهر ولي الأمر عجل الله فرجه»[١].

«بقيت في كربلاء والنجف مدة أربعة أشهر. وقد تمرضت في النجف مرضًا حادًا. وبعد أن أبللت من المرض؛ ذهبت إلى بغداد، وهناك كتبت تقريرًا مفصلًا عن مشاهداتي في النجف وكربلاء والحلة وبغداد والطريق، في تقرير مسهب، وسلمت التقرير إلى ممثل الوزارة في بغداد»[٢].

«وقد كنت أيام مغادرتي البصرة إلى كربلاء والنجف قلقًا أشد القلق على مصير الشيخ محمد عبدالوهاب، حيث كنت لا آمن الانحراف عن الطريقة التي رسمتها له، فإنه كان شديد التلون، عصبي المزاج، فكنت أخشى أن تنهار كل آمالي التي بنيتها عليه»[٣].

---

(١) (ص ٤٤).
(٢) (ص ٤٧ - ٤٨).
(٣) (ص ٤٩).

«بعد مدة من مكوثي في بغداد؛ أتتني الأوامر بضرورة التوجه إلى لندن فورًا، فتوجهت إليها، وهناك اجتمع بي السكرتير وبعض أعضاء الوزارة، وأخبرتهم بمشاهداتي وما عملته في سفرتي الطويلة، ففرحوا بمعلوماتي عن العراق أشد الفرح... وقد أبدى الوزير ارتياحه الكبير من السيطرة على محمد، وقال: إنه ضالة الوزارة، وأكد عليّ مكررًا بأن أعاهده بكل أنواع المعاهدة، وقال: إنك لو لم تحصل في كل أتعابك إلا على الشيخ، كان جديرًا بكل تلكم الأتعاب»(١).

«ثم منحوا لي إجازة عشرة أيام لكي أنصرف إلى أهلي، وخرجت من الوزارة ميممًا نحو أهلي.. راجعت الوزارة لأتخذ الأوامر بشأن المستقبل»(٢).

«قال لي السكرتير: لقد أمرني الوزير شخصيًا، كما خولتني اللجنة الخاصة بشؤون المستعمرات أن أطلعك على سرين هامين جدًا، وذلك لكي تستفيد منهما في المستقبل»(٣).

أما الأول؛ فهو اختيار الوزارة لخمسة بدلاء، يتقمصون هذه الشخصيات:

١- السلطان العثماني.

٢- شيخ الإسلام في الدولة العثمانية.

---

(١) (ص ٥١).
(٢) (ص ٥٣).
(٣) (ص ٥٤).

٣- ملك فارس.

٤- عالم البلاط الشيعي.

٥- أحد مراجع التقليد الشيعة.

وذلك ليعرفوا طريقة تفكير كلٍ منهم، مع مجموعة من الأفكار التي ينبغي بثها بين المسلمين[١].

«ولم يكن السر الثاني إلا وثيقة في خمسين صفحة، تتعرض للخطط الرامية إلى تحطيم الإسلام والمسلمين خلال قرن واحد - ثم ذكر نماذج منها -»[٢].

«شكرت السكرتير على تزويده لي بصورة من هذه الوثيقة وبقيت في لندن مدة شهر آخر، حتى أتتنا أوامر الوزارة بالتوجه إلى العراق مرة أخرى، لتكميل الشوط مع محمد الوهاب، وقد أمرني السكرتير بأن لا أفرط في حقه مقدار ذرة، حيث قال: إنه حصل من مختلف التقارير الواردة إليه من العملاء أن الشيخ أفضل شخص يمكن الاعتماد عليه ليكون مطية لمآرب الوزارة.

ثم قال السكرتير: تكلم مع الشيخ بصراحة، وقال: إن عميلنا في أصفهان تكلم معه بصراحة، وقبل الشيخ العرض، على شرط أن نحفظه من الحكومات والعلماء الذين لابد وأن يهاجموه بكافة السبل، حينما يبدي آراءه وأفكاره، وأن يزوده بالمال الكافي والسلاح إذا اقتضى الأمر ذلك،

---

(١) (ص ٥٤ - ٧٥).

(٢) (ص ٧٥ - ٨٠).

وأن نجعل له إمارة ولو صغيرة في أطراف بلاده نجد، وقد قبلت الوزرة كل ذلك.

ولقد كدت أخرج عن جلدي من شدة الفرح بهذا النبأ، ثم قلت للسكرتير: إذن فما هو العمل الآن؟ وبماذا أكلف الشيخ، ومن أين أبدأ؟ قال السكرتير: لقد وضعت الوزارة خطة دقيقة لأن ينفذها الشيخ، وهي:

١- تكفير كل المسلمين، وإباحة قتلهم، وسلب أموالهم، وهتك أعراضهم، وبيعهم في أسواق النخاسة.

٢- هدم الكعبة باسم أنها آثار وثنية إن أمكن، ومنع الناس عن الحج، وإغراء القبائل بسلب الحجاج وقتلهم.

٣- السعي لخلع طاعة الخليفة، والإغراء لمحاربته، وتجهيز الجيوش لذلك، ومن اللازم أيضًا محاربة أشراف الحجاز بكل الوسائل الممكنة، والتقليل من نفوذهم.

٤- هدم القباب والأضرحة والأماكن المقدسة عند المسلمين في مكة والمدينة، وسائر البلاد التي يمكنه ذلك فيها، باسم أنها وثنية وشرك، والاستهانة بشخصية النبي محمد وخلفائه ورجال الإسلام بما يتيسر.

٥- نشر الفوضى والإرهاب في البلاد حسب ما يمكنه ذلك.

٦- نشر قرآن فيه التعديل الذي ثبت في الأحاديث من زيادة ونقيصة»[١].

ثم يختم همفر مذكراته بقوله[٢]: «بعد أيام استأذنت الوزير والسكرتير،

---

(١) (ص ٨٠ - ٨٢).

(٢) (ص ٨٢ - ٨٥).

وودعت الأهل والأصدقاء... وخرجت قاصدًا نحو البصرة، وبعد سفرة مضنية، وصلت إليها ليلًا، وذهبت إلى دار عبدالرضا، وكان نائمًا، ولما رآني رحب بي واستقبلني استقبالًا حارًا، ونمت هناك حتى الصباح، وقال لي: إن الشيخ محمد رجع إلى البصرة، ثم سافر وأودع عنده كتابًا موجهًا إليك، وفي الصباح قرأت الكتاب، وإذا به يخبرني فيه إنه سافر إلى نجد، وقد ذكر عنوان محله في نجد، فسافرت في الصباح ميممًا وجهة نجد، ووصلتها بعد مشقة بالغة، وجدت الشيخ محمد في داره، وقد ظهرت عليه آثار الضعف، فلم أبح له بشيء، ثم تبين لي فيما بعد أنه تزوج وأنه يُنهك قواه مع زوجته، فنصحته بالإقلاع، فسمع كلامي، وقد صار القرار أن أجعل نفسي عبدًا له، قد اشتراه من السوق، وأن العبد الآن جاء من السفر، وهكذا كان.

وبقيت عنده سنتين، وهيأنا الترتيب اللازم لإظهار الدعوة، وفي سنة (١١٤٣) هجرية قويت عزيمته، وقد جمع أنصارًا لا بأس بهم، فأظهر الدعوة بكلمات مبهمة، وألفاظ مجملة؛ لأخص خواصه.

وكلما أظهر الدعوة أكثر صار أعداؤه أكثر، وأحيانًا كان يريد التراجع من ضغط بعض الإشاعات ضده، لكني كنت أشد من عزيمته، وأقول له: إن محمدًا النبي رأى أكثر من ذلك، وإن هذا هو طريق المجد، وإن كل مصلح لابد وأن يتلقى العنت والإرهاق.

لقد وعدني الشيخ بتنفيذ كل الخطة السداسية، إلا أنه قال: إنه لا يتمكن في الحال الحاضر إلا على الإجهار ببعضها، وهكذا كان، وقد استبعد الشيخ أن يقدر على هدم الكعبة عند الاستيلاء عليها، كما لم يبح عند

الناس بأنها وثنية، وكذلك استبعد قدرته على صياغة قرآن جديد، وكان أشد خوفه من السلطة في مكة وفي الآستانة، وكان يقول: إذا أظهرنا هذين الأمرين لا بد وأن يُجهز إلينا جيوش لا قِبل لنا بها، وقبلت منه العذر؛ لأن الأجواء لم تكن مهيأة كما قال الشيخ.

بعد سنوات من العمل؛ تمكنت الوزارة من جلب (محمد بن سعود) إلى جانبنا، فأرسلوا إليّ رسولًا يبين لي ذلك، ويُظهر وجوب التعاون بين المحمّدَين، فمن محمد الوهاب الدين، ومن محمد السعود السلطة، ليستولوا على قلوب الناس وأجسادهم، فإن التاريخ قد أثبت أن الحكومات الدينية أكثر دوامًا، وأشد نفوذًا، وأرهب جانبًا.

وهكذا كان؛ وبذلك قوي جانبنا قوة كبيرة، وقد اتخذنا (الدرعية) عاصمة للحكم والدين الجديد، وكانت الوزارة تزود الحكومة الجديدة سرًا بالمال الكافي، كما اشترت الحكومة الجديدة في الظاهر عدة من العبيد كانوا من خيرة ضباط الوزارة الذين دُربوا على اللغة العربية والحروب الصحراوية، فكنت أنا وإياهم - وعددهم أحد عشر - نتعاون بوضع الخطط اللازمة، وكان المحمَّدان يسيران على ما نضع لهما من الخطط، وكثيرًا ما نتناقش الأمر مناقشة موضوعية، إذا لم يكن أمر خاص من الوزارة.

وقد تزوجنا جميعًا من بنات العشائر، وقد أُعجبنا بإخلاص المرأة المسلمة لزوجها، وبذلك اشتبكت أواصر الصلة بيننا وبين العشائر أكثر فأكثر، والأمر الآن يسير من حسن إلى أحسن، والمركزية تتقوى يومًا بعد يوم، وإذا لم تقع كارثة مفاجئة؛ فقد بُذرت البذرة الصالحة لأن تنمو وتنمو، حتى تؤتي الثمار المطلوبة».

المبحث الرابع
الأدلة على اختلاق «مذكرات همفر»[(١)]

الأول: لا يوجد أي مصدر إنجليزي لمذكرات الإنجليزي همفر المزعومة، بل لا توجد لها في أي مكتبة أمريكية أو بريطانية نسخة بلغتها الأصلية التي تُرجمت عنها إلى اللغة العربية! فلماذا لم يُبرز مترجمُها هذا الأصل إن كان موجودًا؟ أو يدل القارئ عليه؟!

يقول الدكتور عبدالله العسكر: «لقد بحثت عن أصل المذكرات باللغة الانجليزية؛ فلم أجد لها أصلًا»[(٢)].

ويقول الدكتور فهد السماري في رده على الفنجري: «لقد بحثت شخصيًا في أرشيف دار السجلات العامة بلندن، وأرشيف وزارة الهند، ووزارة المستعمرات في لندن، التي ورد في هذا الكتاب المزيف أنها هي الجهة التي كلفت المؤلف بالمهمة، ولم أعثر على أصل له، بل لم أعثر على شخصية بريطانية بهذا الاسم في تلك الفترة المبكرة، باعتباره موظفًا في وزارة المستعمرات كُلف بمهمة شركة الهند الشرقية، كما زعم الكتاب»[(٣)].

---

(١) استفدت في هذا المبحث من المقالات التي انتقدت المذكرات، في الصحف أو على شبكة الأنترنت، وعلى رأسها: مقال الشيخ مالك بن حسين - وفقه الله -، في مجلة «الأصالة» (الأعداد: ٣١ و ٣٢ و ٣٣)، مع زيادات، وتوسع في المراجع.

(٢) جريدة الرياض، بتاريخ ٢٠/ ٦/ ٢٠٠١م. مقال: «مذكرات الجاسوس البريطاني همفر».

(٣) صحيفة روز اليوسف، العدد (٤٠٨١).

الثاني: كاتب المذكرات همفر، اسم وهمي، ونكرة لا يُعرف، وإلا فأين هي المعلومات التفصيلية عنه، من حيث اسمه، ورتبته، وما يتعلق بوظيفته ومهمته، من كتب ووثائق الحكومة البريطانية؟! يقول الدكتور عبدالله العسكر: «بحثت في أسماء الموظفين الكبار في شركة الهند الشرقية؛ فلم أجد اسم همفر، كما لم أجد من أحال إليه من المؤرخين والكتّاب المعروفين»[(١)].

الثالث: هل يُعقل أن تظهر مثل هذه المذكرات بالإنجليزية، ولا يعرف عنها أحد، سوى الجهة التي تبنت صناعته ونشره بالعربية، مع علمنا بأن المصادر الإنجليزية واضحة ومعلنة ومتوفرة ومتاحة، وليست مجالا للسرية والانغلاق؟! أين هذه الأحداث والتطورات وهى برعاية وزارة المستعمرات البريطانية من التقارير التي نشرها مبعوثون بريطانيون زاروا المنطقة في القرن التاسع عشر الميلادى؛ مثل ويليام بلجريف، ولويس بيلى؟ وإذا رجعنا إلى التقارير البريطانية المشهورة مثل تقارير سلدانا البريطانية، والتي صدرت فى عام ١٩٠٤م حول شئون نجد خلال الفترة من ١٨٠٤-١٩٠٤م precis of nejd affairs 1804 - 1904 ja saldanha, simla 1904، وتضمنت رصدًا بأبرز التطورات في تاريخ الدولة السعودية من منظور بريطاني لم يظهر به أي إشارة إلى ما ورد في هذا الكتاب المزعوم[(٢)].

الرابع: النسخة العربية المطبوعة من هذه المذكرات لم يُذكر فيها أية

---

(١) المرجع السابق.

(٢) من مقال الدكتور فهد السماري، في مجلة «روز اليوسف»، العدد (٤٠٨١).

معلومات عن مصدرها، ومؤلفها، و النسخة الأصلية التي تُرجمت عنها، وهل هي مطبوعة أم مخطوطة؟ وبأي لغة؟ وكل هذه الأدلة تؤكد للمنصفين اختلاقها.

الخامس - كل ما عرفناه عن مترجم المذكرات أنه نكرة! رمز لنفسه على غلاف المذكرات بـ(الدكتور ج. خ)! فمن هو؟ حتى تُطلب منه أصول المذكرات؟ ولماذا التخفي خلف الرموز؟ أو أن التخفي الرافضي كان له دورٌ هنا؟

السادس: جاء في الورقة الأخيرة من المذكرات هذا التاريخ (٢/ ١/ ١٩٧٣)! فما المقصود به؟ هل هو تاريخ كتابة همفر لمذكراته مثلًا - كما هو معتاد عند كتابة أي مذكرات -؟ أوهو تاريخ افتراء واختلاق المذكرات؟!

السابع: لا يوجد أي ذكر لهذه المذكرات المزعومة في التاريخ، الذي شهد صولات وجولات بين أتباع الدعوة السلفية - منذ زمن الشيخ محمد رَحِمَهُ اللهُ - وخصومهم، رغم حرص أولئك الخصوم على تشويهها، ونشر كل ما يسيء إليها. فخروج المذكرات في هذا الوقت المتأخر هو دليلٌ على افترائها وتلفيقها.

الثامن: إن ما في كُتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب كلَّه يُكذِّب ما ورد في هذه المذكرات؛ كما سيأتي - إن شاء الله -.

التاسع: وصف همفر بريطانيا في بداية مذكراته بأنها الإمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس(١).

(١) المذكرات (ص ٥).

ومن المعلوم أنه في تلك الفترة لا وجد لشيء اسمه الإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس!

فقد احتلت بريطانيا الهند سنة ١٨١٩م، واحتلت بورما سنة ١٨٢٤م، واحتلت الصين سنة ١٨٤٢م، واحتلت مصر سنة ١٨٨٢م. فكيف وصفها بوصفٍ لم تستحقه إلا بعد أعوام طويلة؟![١]

العاشر: قال همفر[٢]: «لكن الذي كان يُقلق بالنا هي البلاد الإسلامية، فإنا وإن كنا قد عقدنا مع الرجل المريض (يقصد الدولة العثمانية) عدة من المعاهدات، كلها كانت في صالحنا، وكان تقديرات خبراء وزارة المستعمرات أن الرجل يلفظ نفسَه الأخير في أقل من قرن..».

قلت: إطلاق وصف «الرجل المريض» على الدولة العثمانية كان في بداية القرن العشرين، مع ظهور بوادر ضعفها الكبير، وتفككها، أما في زمن همفر المزعوم - وهو بداية القرن الثامن عشر ١٧٠٠م - فقد كانت

---

(١) انظر: «عصر النهضة والعالم الحديث»؛ للدكتور جلال يحيى (ص ٤٣٢ - ٤٣٥) حديثه عن «التوسع الإنجليزي»، و«معالم التاريخ الأوربي الحديث»؛ للدكتورين: جاد طه و جلال يحيى. يقول السفير في الخارجية السورية محمد عدنان مراد، في كتابه «صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي - جذوره التاريخية وأبعاده» (ص ٣٠٣) عن مرحلة مابعد احتلال بريطانيا للهند (١٨١٩م): «لقد بدأت الهند البريطانية تلك المرحلة التاريخية، وهي مركز ممتلكة «مستعمرة» بريطانية، ما لبث أن تطورت على مراحل بطيئة إلى إمبراطورية عاتية، تُنفذ سياسة استعمارية، تُخطَّط في لندن، وتُدرس وتُنفذ من نيودلهي وبومباي، فالرأس في لندن، والقلب في الهند». ويُنظر: كتاب «أفول وسقوط الإمبراطورية البريطانية»؛ لبيرس برندون.

(٢) المذكرات (ص ٦ - ٧).

الدولة العثمانية إمبراطورية ضخمة، تُحارب في عدة جبهات[١]، لم يُطلق عليها الوصف السابق. وهذا ما يفضح كاذب المذكرات، الجاهل بالتاريخ!

الحادي عشر: إن واقع الشيخ رحمه الله وواقع دعوته؛ ينفي ذلك كلَّه.

الثاني عشر: شهادة أعداء الشيخ رحمه الله؛ من مسلمين وكفار تنفي عنه ما في هذه المذكرات، وهذا أمر مستفيض، ولو تتبعناه لطال بنا البحث.

الثالث عشر: يقول همفر في بداية مذكراته: «أوفدتني وزارة المستعمرات عام ١٧١٠م إلى كل من مصر والعراق وطهران والحجاز والاستانة؛ لأجمع المعلومات الكافية التي تعزز سبل تمزيقنا للمسلمين، ونشر السيطرة على بلاد الإسلام»[٢].

قلت: ابتدأ مخترع المذكرات مذكراته بالكذب! لأنه نسي أنه في عام ١٧١٠ م لم يكن في بريطانيا وزارة مستعمرات أصلًا! وإنما كانت مجرد شركات تجارية «استعمارية»، استغلت التجارة في غزو الدول[٣]. وهذا

---

(١) انظر: «الخلافة العثمانية»؛ لعبدالمنعم الهاشمي (ص ٣٦٩ وما بعدها)، و«صحوة الرجل المريض»؛ لموفق بني المرجة.

(٢) المذكرات (ص ١٢).

(٣) على رأسها «شركة الهند الشرقية»، التي تحولت من مشروع تجاري إلى مؤسسة تحكم جميع مستعمرات التاج البريطاني في المنطقة، واستمر ذلك إلى أن حُلت الشركة إثر اندلاع التمرد، والعصيان المدني في الهند عام ١٨٥٨م. انظر رسالة مهمة عنها بعنوان: «شركة الهند الشرقية الإنجليزية منذ تأسيسها حتى سقوط دولة المغول الإسلامية في الهند»؛ للأستاذ نصير أحمد نور أحمد.
وانظر: رسالة «التنافس الإنجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية»؛ للدكتور أحمد العُقبي (ص٣٠٩ - ٣١٤) لبيان علاقة شركة الهند الشرقية البريطانية بالجزيرة العربية والخليج العربي، زمن الدولة السعودية الأولى.

يؤكد مقولة: إذا كنتَ كذوبًا، فكن ذكورًا. ويؤكد أن مذكراته المختلقة قد وُلدت ميتة - ولله الحمد -.

الرابع عشر: ادعى همفر أنه التقى بالشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله عام ١٧١٣ م، ووصفه بأنه «.. شاب كان يتردد على هذا الدكان، يعرف اللغات الثلاث؛ التركية والفارسية والعربية»[١]!

قلت: نسي كاذب المذكرات - أيضًا - أن الشيخ محمد في هذا التاريخ المزعوم كان عمره عشر سنوات!!

توضيحه: أن همفر ذكر أن وزارة المستعمرات (البريطانية) أوفدته إلى الآستانة (مركز الخلافة الإسلامية) عام ١٧١٠م، وهو يوافق عام **١١٢٢**هـ، ثم ذكر أنه مكث في الآستانة سنتين؛ ثم رجع إلى لندن حسب الأوامر؛ لتقديم تقرير مُفصل عن الأوضاع في عاصمة الخلافة، ثم ذكر أنه مكث في لندن ستة أشهر، ثم ذكر أنه توجه إلى البصرة، وأخذت منه الرحلة ستة أشهر، وفي أثناء وجوده في البصرة التقى بالشيخ محمد رحمه الله.

فيكون عام التقائه المزعوم بالشيخ إذن هو عام **١٧١٣**م، وهو يوافق عام **١١٢٥** هـ، والشيخ رحمه الله كما هو معلوم، وُلد عام **١١١٥**هـ؛ فيكون عمره وقت لقاء (همفر) المزعوم به عشر سنين!! وهذا واضح جدًا في بطلان هذه المذكرات جملةً وتفصيلًا.

ثم كيف استطاع طفل العاشرة، الذي جاء من صحراء نجد أن يتكلم الفارسية والتركية؟ وأهل نجد لا يعرفون هاتين اللغتين زمن الشيخ أصلًا، ولا يتكلمهما أحد منهم، فمتى تعلمهما؟ وأين؟

---

(١) المذكرات (ص ٣١ - ٣٢).

الخامس عشر: قال همفر: «كان محمد بن عبدالوهاب شابًا متحررًا بكل معنى الكلمة.. كما أنه لم يكن يرى أي وزن لأتباع المذاهب الأربعة»(١). ولا يخفى على المتأمل ما في هذا الكلام من كذبٍ فاضح، فكيف يكون مَن تربى في الصحراء متحررًا؟ وليس متحررا عاديًا، ولكن بكل ما لهذه الكلمه من معنى؟ وكيف لا يقيم الشيخ محمد وزنًا للمذاهب الأربعة وهو لم يخرج عنها، ولم يتجاوزها؟ وهاهي كتبه منشوره بين الناس، ومتاحه للجميع، وقد قرأها علماء الأمه فما اتهمه عالم واحد بمثل هذا القول، ولو انتقص الشيخ أحد الأئمة لهبّ له العلماء وردوا عليه.

السادس عشر: ذكر همفر أنَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت له صداقة مع رجل شيعي اسمه عبد الرضا، وقال عن الشيخ: «كان محمد بن عبدالوهاب لا يتعصب ضد الشيعة»(٢). وهذا من أوضح الباطل؛ لأن موقف الشيخ من الرافضة مشهور معروف، وقد ألف رحمه الله رسالة مطبوعة مُتداولة بعُنوان: «رسالة في الرَّدِّ على الرَّافضة»(٣) ذكر فيها عقائدهم الشنيعة، وهذه بعض عباراته عنهم، وكأنه رحمه الله يوجهها إلى مختلق مذكرات همفر! حيث قال عنهم: «هؤلاء الكذبة»(٤)، وقال: «فانظر أيها المؤمن إلى سخافة رأي هؤلاء الأغبياء، يختلقون مايرده بديهة العقل، وصراحة النقل»(٥).

---

(١) المذكرات (ص ٣١).

(٢) المذكرات (ص ٣١).

(٣) طبعتها جامعة الإمام. ومن المفارقات أن ناسخها كتب في آخرها: «فرغت من كتابتها في الساعة الواحدة من الليلة الرابعة من شهر ذي الحجة، سنة ١٣٢٥هـ، ببغداد، صانها الله من الفساد». فهي قريبة من متناول يد الرافضة!

(٤) ص ٨ .

(٥) ص ٤١ .

السابع عشر: ذكر همفر أنه في البصرة يلتقي السُّنّي والشِّيعي وكأنهما إخوة[١].

وهذا أمر يدل على جهله، وهولم يكن في يوم من الأيام، ولن يكون أبدًا، فأهل السنة يُكفرون الشيعة الذين يعتقدون تحريف القرآن، وتكفير الصحابة إلا نفرًا يسيرًا، ويغلون في أئمتهم، ويوصلونهم إلى مرتبة الألوهية... إلى غير ذلك من عقائدهم الكفرية، فكيف يكون السنة إخوة لهم؟! إلا عند جهول بمذهبهم الخبيث، ولم يكن الشيخ كذلك، وهو الذي ألف رسالة في «الرد عليهم» - كما سبق -.

الثامن عشر: ذكر همفر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب و(عبد الرضا) الشيعي كانا ناقِمَيْنِ على السلطان العثماني[٢].

والجواب على هذا من وجوه:

١ - الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين؛ ومن ذلك قوله: «وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برِّهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة؛ وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه»[٣]، وقال أيضًا: «الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبدًا حبشيًا، فبين الله له هذا بيانًا شائعًا كافيًا بوجوه من أنواع البيان شرعًا وقدرًا، ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند كثير ممن

---

(١) المذكرات (ص ٣١).

(٢) المذكرات (ص ٣١).

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ١١).

يدعي العلم، فكيف العمل به؟!»[١].

٢ - الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان لا يجد أدنى شكٍ في أن محل دعوته ليست خاضعة لدولة الخلافة؛ من ذلك قوله: «إن هذا الذي أنكروا علي وأبغضوني وعادوني من أجله، إذا سألوا عنه كل عالم في الشام أو اليمن أو غيرهم، يقول: هذا هو الحق، وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أن أظهره في مكاني لأجل أن الدولة ما يرضون، وابن عبد الوهاب أظهره؛ لأن الحاكم في بلده ما أنكره؛ بل لما عرف الحق اتبعه»[٢].

٣ - هذه كتب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين أيدينا، وليس فيه ما يدل على أي موقف عدائي ضد الدولة العثمانية، ولا أي فتوى له رَحِمَهُ ٱللَّهُ تُكفرها، وكانت سياسة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وموقفه تجاهها أنه لم يُؤثر عنه - طوال حياته - تحريضٌ، أو استعداء، أو دعوة لحربها، أو الاستيلاء عليها؛ لشعوره أن ذلك الفعل يُفسر على أنه خروج على دولة الخلافة، ولم تُحرك الدولة العثمانية ساكنًا، ولم تبدُر منها أية مبادرة امتعاض، أو خلاف يُذكر؛ رغم توالي أربعة من سلاطين آل عثمان على الحكم، أثناء حياة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣].

٤ - الدولة العثمانية لم يكن لها سيطرة على نجد؛ فلم تشهد نجد - على

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة (ص ٣٩٤).

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ٣٢).

(٣) يُنظر لمعرفة تفاصيل موقف الشيخ من الدولة العثمانية: سلسلة مقالات «إعادة ترتيب أوراق الخلافة»؛ للدكتور عجيل النشمي. نشرها في مجلة المجتمع الكويتية، بدءًا من العدد (٤٦٢). مقال «دولة الخلافة والحركة الوهابية» (الأعداد: من ٥٠٥ إلى ٥٢٧). قال فيها: «نستطيع القول باطمئنان: إن كتابات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ليس فيها تصريح بموقف عدائي ضد دولة الخلافة..».

العموم - نفوذًا لها، وما امتد إليها سلطانها؛ فلم يكن في نجد رئاسة ولا إمارة للأتراك، ولا أتى إليها ولاة عثمانيون، ولا جابت خلال ديارها حامية تركية؛ في الزمان الذي سبق ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ بل كانت نجد إمارات صغيرة، وقرى متناثرة، وعلى كل بلدة أو قرية - مهما صغرت - أمير مستقل، وهي إمارات بينها قتال وحروب ومشاجرات[1].

ومما يدل على هذه الحقيقة التاريخية استقراء تقسيمات الدولة العثمانية الإدارية، فمن خلال رسالة تركية عنوانها: «قوانين آل عثمان در مضامين دفتر ديوان» - يعني: (قوانين آل عثمان فيما يتضمنه دفتر الديوان) - ألفها (يمين علي أفندي)؛ الذي كان أمينًا للدفتر الخاقاني، سنة ١٠١٨هـ الموافقة لسنة ١٦٩٠م، ونشرها ساطع الحصري ملحقًا من ملاحق كتابه «البلاد العربية والدولة العثمانية»[2]، من خلال هذه الرسالة يتبيّن أنه منذ أوائل القرن الحادي عشر الهجري، كانت دولة آل عثمان تنقسم إلى (٣٢) إيالة، منها (١٤) إيالة عربيّة، وبلاد نجد ليست منها، ما عدا الأحساء، إن اعتبرناها من نجد.

ثم إن نفوذ العثمانيين ما لبث أن ضعف في جزيرة العرب؛ نتيجة لمشاكلهم الداخلية والخارجية، فاضطروا في نهاية الأمر إلى ترك اليمن؛ بسبب ثورة أئمة صنعاء ضدهم، واضطروا إلى مغادرة الأحساء أيضًا أمام

---

(١) يُنظر للمزيد: «تاريخ المملكة العربية السعودية»؛ للدكتور عبدالله العثيمين (ص ٣٦ - ٣٧).
(٢) (ص ٢٣٠ - ٢٤٠).

ثورة زعيم بني خالد براك بن غرير وأتباعه سنة ١٠٨٠هـ[(١)].

٥ - منطقة نجد لم تُعرَف بوجود شيء من الخيرات والثروات، التي تجعل تلك المنطقة محل طمع الدولة العثمانية، وغيرها.

التاسع عشر: ذكر همفر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكن يرى أي وزن لأتباع المذاهب الأربعة المتداولة بين أهل السنة، ويقول: إنها ما أنزل الله بها من سلطان[(٢)]!

وهذا من الكذب؛ لأن موقف الشيخ رحمه الله من المذاهب الأربعة واضح في كتبه؛ ومن أقواله: «نحن مقلدون للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة، وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة؛ أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل - رحمهم الله -»[(٣)].

وقال رحمه الله: «أما مذهبنا؛ فمذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، ولا نُنكر على أهل المذاهب الأربعة، إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها»[(٤)].

وقال رحمه الله: «وأما المتأخرون - رحمهم الله - فكتبهم عندنا؛ نعمل بما

---

(١) انظر: «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي»؛ للشيخ صالح العبود (١/ ٤٠ - ٤١)، و«انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية»؛ لمحمد كمال جمعة (ص ١٣)، و«تاريخ البلاد العربية السعودية»؛ للدكتور العجلاني (ص ٤٧).

(٢) المرجع السابق.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ٩٦).

(٤) المرجع السابق (ص ١٠٧).

وافق النص منها، وما لم يوافق النص لا نعمل به»[١].

وقال ابنه، الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، لما دخلوا مكة عام ١٢١٨هـ: «ونحن أيضًا: في الفروع، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة، دون غيرهم، لعدم ضبط مذاهب الغير؛ الرافضة، والزيدية، والإمامية، ونحوهم؛ ولا نقرهم ظاهرًا على شيء من مذاهبهم الفاسدة، بل نُجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة»[٢].

وقال الشيخ رشيد رضا رحمه الله عن أتباع الدعوة السلفية: «... وأنهم في الأصول على مذهب جمهور السلف الصالح، وفي الفروع على مذهب الإمام أحمد، وأنهم يحترمون مذاهب الأئمة الأربعة، ولا يُفرقون بين أحد من مقلديهم، وإنما قال ابن عابدين - ومن تبعه - ما قاله؛ تصديقًا لأكاذيب الشيخ أحمد دحلان ومفترياته، مع عدم وجود شيء من كتب الشيخ وكتب أولاده وأحفاده في الأيدي، ونحن كنا نصدق هذه الإشاعات التي أشاعتها السياسة التركية عنهم تصديقًا لابن عابدين وأمثاله؛ وقد طُبعت كتبهم وكتب أنصارهم في عصرنا، فلا عذر لأحدٍ في تصديق الحشوية والمبتدعة، وأهل الأهواء فيهم، وقد ذُكرت هذه الإشاعات مرةً بمجلس الأستاذ الكبير الشيخ أبي الفضل الجيزاوي، شيخ الأزهر، في إدارة المعاهد الدينية، فاستحضرت لهم نسخًا من كتاب «الهدية السنية»؛ فراجعها الشيخ الكبير، وعنده طائفة من أشهر علماء الأزهر، فاعترفوا بأن

---

(١) المرجع السابق (ص ١٠١).

(٢) الدرر السنية (١/ ٢٢٧).

ما فيها هو عين مذهب جمهور أهل السنة والجماعة»[١].

العشرون: ذكر همفر أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان له رأيه المستقل الذي لا يهتم حتى بالخلفاء الأربعة الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أمام ما يفهمه هو من القرآن والسنة[٢].

قلت: اعتقاد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحابة - رضوان الله عليهم - أوضحه في كتبه ورسائله، بما يغني عن هذه الافتراءات:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأتولّى أصحاب رسول الله ﷺ، وأذكر محاسنهم، وأترضى عنهم، وأستغفر لهم، وأكفُّ عن مساويهم، وأسكت عما شجر بينهم، وأعتقد فضلهم»[٣]، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد جاءت الآيات والأحاديث النّاصة على أفضلية الصحابة، واستقامتهم على الدين»[٤].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد تواتر عن النبي ﷺ ما يدل على كمال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، خصوصًا الخلفاء الراشدين، فإن ما ذكر في مدح كل واحد مشهور بل متواتر؛ لأنَّ نَقَلَةَ ذلك أقوام يستحيل تواطؤهم على الكذب، ويُفيد مجموع أخبارهم العلم اليقيني بكامل الصحابة وفضل الخلفاء»[٥].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن اعتقد منهم - أي: الرافضة - ما يوجب إهانتهم - أي: الصحابة -؛ فقد كذب رسول الله ﷺ فيما أخبر به من وجوب

---

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان (ص ٥١٠ -٥١١) - الهامش -.
(٢) المذكرات (ص ٣٤).
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ١٠).
(٤) رسالة في الرد على الرافضة (ص ١٤).
(٥) المرجع السابق (ص ١٨).

إكرامهم وتعظيمهم، ومن كذَّبه فيما ثبت عنه قطعًا؛ فقد كفر»[١]، وقال رَحِمَهُ اللهُ: «فمن سبَّهم؛ فقد خالف أمر الله به من إكرامهم، ومن اعتقد السوء فيهم كلهم، أو جمهورهم؛ فقد كذب الله - تعالى - فيما أخبر من كمالهم وفضائلهم، ومكذبه كافر»[٢].

الحادي والعشرون: ذكر همفر أنه قال للشيخ محمد بن عبد الوهاب بأن الجهاد ليس فرضًا... وبعد نقاش هز الشيخُ رأسه علامة للرضا[٣]!

أقول: مذهب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في الجهاد بيّنه بقوله: «وأرى الجهاد ماضيًا مع كل إمام؛ برًّا كان أو فاجرًا، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة، والجهاد ماض منذ بعث الله محمدًا ﷺ، إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل».

الثاني والعشرون: ذكر همفر أنه أقنع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأن متعة النساء جائزة، وأن الشيخ استجاب، وتمتع بامرأة نصرانية من اللاتي كن مجندات من قِبل وزارة المستعمرات لإفساد الشباب المسلم[٤]!

أقول: الرافضة أبناء المتعة يودون لو أن الشيخ كان مثلهم، راتعًا في أخيَّة الزنا، كما قال الله عن الكفار: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾، وأنى لهم ذلك؟ وقد برأه الله من هذا المنكر العظيم الذي تهافت

(١) المرجع السابق (ص ٢٧).
(٢) المرجع السابق (ص ١٧).
(٣) المذكرات (ص ٣٥ - ٣٦).
(٤) المذكرات (ص ٣٦).

إليه الرافضة، وهو الذي بيّن حرمته في رده عليهم[١]، وقال رحمه الله في نهاية حديثه عن المتعة: «والحاصل: أن المتعة كانت حلالًا، ثم نُسخت وحُرّمت تحريمًا مؤبدًا، فمن فعلها؛ فقد فتح على نفسه باب الزنا»[٢].

الثالث والعشرون: ذكر همفر أنه بعد نقاش مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب أقنعه بأن شرب الخمر ليس بحرام، وأن الصلاة ليست فرضًا! فشرب الشيخ الخمر، وتهاون في الصلاة[٣]!

أقول: هذا الكذب يدل على وقاحة مفتريه، وخبث معدنه، وهو ليس بمستغرب على مَن له سابقة في الافتراء والبهتان على أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ. وأما الشيخ رحمه الله فقد قال في رسالته إلى عالم بغداد، الشيخ عبد الرحمن السويدي، رحمه الله بعد أن بيّن له عقيدته، وما يدعو الناس إليه من إخلاص العبادة لله تعالى، وإنكار ما فشا في الناس من أمر الشرك؛ من دعاء الأموات، والالتجاء إليهم من دون الله تعالى: «فإني ألزمت من تحت يدي بإقام الصلاة، وإيتاء الزّكاة، وغير ذلك من فرائض الله، ونهيتهم عن الرِّبا، وشرب الخمر والمسكرات، وأنواع المنكرات، فلم يمكن الرؤساء القدحَ في هذا وعيبه؛ لكونه مستحسنًا عند العوام، فجعلوا قدحهم

(١) انظر: «الرد على الرافضة» (ص ٤٤ - ٤٦): «مطلب المتعة».

(٢) ص ٤٦ . وقال في (ص ٥٤): «فهؤلاء الإمامية خارجون عن السنة، بل عن الملة، واقعون في الزنا، وما أكثر ما فتحوا على أنفسهم أبواب الزنا، في القُبل والدُبر، فما أحقهم بأن يكونوا أولاد الزنا، حمانا الله وإياكم معاشر الإخوان، من إتباع خطوات الشيطان».

(٣) المذكرات (ص ٣٧ - ٣٨).

وعداوتهم فيما آمرُ به من التوحيد، وأنهى عنه من الشرك، ولبَّسوا على العوام: أن هذا خلاف ما عليه أكثر الناس، وكبرت الفتنة جدًا، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان وَرَجِلِه؛ منها: إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه، فضلًا أن يفتريه، . . . - وبعد أن عدَّد أمورًا كثيرة مما نسب إليه - قال: والحاصل أن ما ذُكر عنّا من الأسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد والنَّهي عن الشرك، فكله من البهتان، وهذا لو خفي على غيركم فلا يخفى عليكم»[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في رده على الرافضة[٢] مشنعًا عليهم: «مطلب: تركهم الجمعة والجماعة»، فهو يعيب عليهم ترك الجماعة، فضلًا عن الصلاة نفسها! فكيف يزعم المفتري أنه يتهاون فيها؟!

الرابع والعشرون: ذكر همفر أنَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ذهب إلى (أصفهان وشيراز)[٣].

وهذا من الكذب، ولم يذكر الثقات الذين ترجموا للشيخ، وحرصوا على تدوين كلِّ ما يتَّصل برحلاته، وبذكر البلاد التي زارها، أنه رَحِمَهُ اللَّهُ ذهب إلى (فارس وإيران وقم وأصفهان وشيراز)! ومن ذكر هذا إنما نقله عن

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الرسائل الشخصية، ص ٣٦، وانظر: «البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار»؛ لفوزان السابق (ص ٨١ - ٨٢)، و«دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»؛ للدكتور عبد العزيز آل عبد اللطيف (ص ١٧٠ - ١٧١)، و«الدرر السَّنية في الأجوبة النجدية» (١/ ٦٥).

(٢) ص ٥٦ .

(٣) المذكرات (ص ٥٠).

بعض الكتب غير الموثوقة[١]، أو بعض المستشرقين الذين ذكروا ذلك في مؤلفاتهم المعروفة بالأخطاء، ومجانبة الحقيقة؛ أمثال: مرجليوث في «دائرة المعارف الإسلامية»، وبرايجس، وهيوجز، وزيمر، وبلقريف[٢].

الخامس والعشرون: ذكر همفر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يؤمن بالتقية[٣]!

والجواب عن هذا الكذب؛ أن الشيخ رحمه الله قال في معرض ردِّه على الرَّافضة في مسألة التقية[٤]: «والمفهوم من كلامهم أن معنى التقية عندهم: كتمان الحق، أو ترك اللازم، أو ارتكاب المنهي؛ خوفًا من الناس، والله أعلم.

فانظر إلى جهل هؤلاء الكذبة، وبنوا على هذه التقية المشؤومة كتم علي نص خلافته ومبايعة الخلفاء الثلاثة... وهذا يقتضي عدم الوثوق بأقوال أئمة أهل البيت وأفعالهم؛ لاحتمال أنهم قالوها أو فعلوها تقية!... ما أشنع قول قوم يلزم منه نقص أئمتهم المبرئين عن ذلك».

السادس والعشرون: ذكر همفر أن من الخطط التي وُضعت للشيخ محمد بن عبد الوهاب تكفير كل المسلمين، وإباحة قتلهم، وسلب أموالهم[٥]!

---

(١) ككتاب «لمع الشهاب..» الذي سبق نقده. وانظر للرد على روايته لرحلات الشيخ: «تاريخ البلاد العربية السعودية»؛ لمنير العجلاني (ص ١٨٨ - ٢٠١).

(٢) انظر لبيان رحلات الشيخ، والرد على من تزيّد فيها: «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي»؛ للدكتور صالح العبود (١/ ١٣٣ - ١٨٢)، و«تاريخ المملكة العربية السعودية»؛ للدكتور عبدالله العثيمين (ص ٦٨).

(٣) المذكرات (ص ٥٠).

(٤) ص ٢٧ - ٢٨ .

(٥) المذكرات (ص ٨١).

وهذا من الافتراءات الكثيرة التي روجها أعداء الدعوة السلفية، وقد أجاب عنها عددٌ من الباحثين[١]. ومن أقوال الشيخ محمد رَحِمَهُ اللهُ التي تدحض هذا الافتراء، قوله: «أركان الإسلام الخمسة: أولها الشهادتان، ثم الأركان الأربعة؛ إذا أقر بها وتركها تهاونًا، فنحن وإن قاتلناه على فعلها، فلا نكفّره بتركها، والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلًا من غير جحود، ولا نكفِّر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم؛ وهو الشهادتان»[٢]، وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ولا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما؛ لأجل جهلهم، وعدم من ينبِّههم»[٣]، وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الكذب والبهتان؛ فمثل قولهم: إنا نكفِّر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وأنَّا نكفِّر من لم يكفِّر ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان؛ الذي يصدُّون به الناس عن دين الله ورسوله...»[٤]، وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ولا نشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار؛ إلا من شهد له رسول الله ﷺ، ولكني أرجو للمسلم، وأخاف على المسيء»[٥]،

---

(١) انظر: «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب»؛ للدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف، و«منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في مسألة التكفير»؛ للشيخ أحمد الرضيمان.

(٢) تاريخ نجد (٢/ ٢٧١)، ومؤلفات الشيخ «القسم الثالث - الفتاوى (ص ٩)، والدُرر السَّنيَّة في الأجوبة النجدية» (١/ ١٠٢).

(٣) مؤلفات الشيخ - القسم الثالث - الفتاوى (ص ١١).

(٤) المرجع السابق.

(٥) مؤلفات الشيخ - القسم الخامس - الرسائل الشخصية (ص ١١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ولا أكفر أحدًا بذنب، ولا أُخرجه من دائرة الإسلام»[١]، وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وأما ما ذكره الأعداء عني أنِّي أكفِّر بالظنِّ، والموالاة، أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم؛ يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله»[٢]، وقال رَحِمَهُ اللهُ: «والله يعلم أن الرجل - ابن سحيم - افترى علي أمورًا لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي؛ فمنها: أني أكفر البوصيري، وأني أكفر من حلف بغير الله... جوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم»[٣]، وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وأجلبوا علينا بخيل الشيطان وَرَجِلِه؛ منها: إشاعة البهتان بما يستحي أن يحكيه، فضلًا على أن يفتريه، ومنها ما ذكرتم: أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، ويا عجبًا كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟!!...»[٤]، وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك تمويهه على الطغام بأنَّ ابن عبد الوهاب يقول: الذي ما يدخل تحت طاعتي كافر، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، بل نشهد على ما يعمله من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد، وتبرأ من الشرك وأهله، فهو مسلم في أي زمان وأي مكان، وإنما نكفر من أشرك بالله في إلهيته بغد ما تبين له الحجة على بطلان الشرك»[٥]، وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وأما القول: أنَّا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء، الذي يصدّون به عن هذا الدِّين،

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق (ص ٢٥).
(٣) المرجع السابق (ص ١١ - ١٢ و ٦٢).
(٤) المرجع السابق (ص ٣٦).
(٥) المرجع السابق (ص ٦٠).

ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم»[١].

وقال الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي، نافيًا عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب تهمة تكفير المسلمين واستباحة قتلهم وسلب أموالهم وهتك أعراضهم: «إن الشيخ وأتباعه لم يُكفروا أحدًا من المسلمين، ولم يعتقدوا أنهم هم المسلمون، وأنَّ من خالفهم هم المشركون، ولم يستبيحوا قتل أهل السُّنَّة وسبي نسائهم... ولقد لقيت غير واحد من أهل العلم من أتباع الشيخ، وطالعت كثيرًا من كتبهم، فما وجدت لهذه الأمور أصلًا وأثرًا، بل كل هذا بهتان وافتراء»، وعلَّق الشيخ محمد رشيد رضا على كلامه بقوله: «بل في هذه الكتب خلاف ما ذُكر وضدُّه؛ ففيها أنهم لا يُكفِّرون إلا من أتى بما هو كفر بإجماع المسلمين»[٢].

السابع والعشرون: ذكر همفر أن من الخطط التي وُضعت للشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ نشر قرآن فيه تعديل[٣]!!

أقول: الشيعي كاذب المذكرات يرمي الشيخ بدائه؛ كما قيل: رمتني بدائها وانسلت! فالرافضة هم من يعتقد تحريف القرآن، لا أهل السنة، الذين برأهم الله من هذه العقيدة الكفرية. والشيخ محمد ﷺ من كبار علمائهم، وقد بيّن حكم من يعتقد الزيادة في القرآن، أوالنقص منه: قال ﷺ في رسالته «الرد على الرافضة»!: «من اعتقد عدم صحة حفظه - أي القرآن الكريم - من الإسقاط، واعتقد ما ليس منه أنه منه؛ فقد

(١) المرجع السابق (ص ١٠٠ - ١٠١).
(٢) صيانة الإنسان (ص ٥١٠) - مع الهامش -.
(٣) المذكرات (ص ٨٢).

كفر»[١]، وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ومُكذِّب القرآن كافر ليس له إلا السيف وضرب العنق»[٢]، وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ومن هزل بشيء فيه ذكر الله، أو القرآن، أو الرسول؛ فهو كافر»[٣].

الثامن والعشرون: ذكر همفر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أظهر دعوته سنة ١١٤٣هـ[٤]. وهذا دليلٌ واضح، يُبين كذب المذكرات؛ لأن تاريخ إعلان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ لدعوته هو في السنة التي توفي فيها والده، وهي سنة ١١٥٣هـ؛ كما عليه المؤرخون. قال ابن بشر في تاريخه: «توفي أبوه عبدالوهاب في سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف، ثم أعلن بالدعوة والإنكار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبعه ناس من أهل البلد.. إلخ»[٥].

التاسع والعشرون: ذكر أنه بعد سنوات من العمل تمكنت الوزارة من جلب محمد بن سعود إلى جانبها، فأرسلوا إلى محمد بن عبد الوهاب رسولًا يبين له ذلك، ويظهر وجوب التعاون بين (المحمَّدَين)؛ فمن محمد بن عبد الوهاب الدين، ومن محمد بن سعود السُلطة[٦]!

أقول: المذكور الثابت في كتب التاريخ أن الشيخ محمد بن

(١) (ص ١٩).
(٢) المرجع السابق (ص ٣٢).
(٣) مؤلفات الشيخ - القسم الأول - العقيدة (ص ١١٨).
(٤) المذكرات (ص ٨٣).
(٥) عنوان المجد (١/ ٨ - ٩).
(٦) المذكرات (ص ٨٤ - ٨٥).

عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ ذهب إلى الدرعية، بلد محمد بن سعود، فعلِم به خصائص من أهل الدرعية، فزاروه خفية، ورأوه لا يزال على سبيل الرسول ﷺ ثابتًا، فأرادوا أن يُخبروا محمد بن سعود، ويشيروا عليه بنصرته، فهابوا فأشارت امرأة محمد بن سعود على زوجها، وكذلك أخواه ثنيان ومشاري، بمساعدة الشيخ ونصرته، وألقى الله - سبحانه - في قلبه للشيخ محبة، فقام من فوره، وسار إليه، ومعه أخواه، فسلم عليه، ورحَّب به، وأبدى غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه مما يمنع منه نساءه وأولاده، وقال: أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعزِّ والمنعة.

فقال الشيخ: وأنا أبشِّرك بالعزِّ والتمكين، وهذه كلمة «لا إله إلا الله»؛ من تمسَّك بها وعمل بها ونصرها، ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وأول ما دعت إليه الرُّسل؛ من أولهم إلى آخرهم، ثم أخبره بما كان عليه رسول الله ﷺ، وما دعا إليه، وما عليه أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من بعده، وما أمروا به، ونهوا عنه، وما أعزهم الله به بالجهاد في سبيله؛ فأغناهم، وجعلهم إخوانًا، ثم أخبره بما عليه أهل نجد اليوم، من مخالفتهم بالشرك بالله تعالى، والبدع، والجَور، والظلم.

فلما تحقَّق محمد بن سعود من معرفة التوحيد وفضله، ورأى بُعدَ الناس في الواقع عنه، قال للشيخ: يا شيخ! إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه، وأبشر بالنُّصرة لك ولما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد. . . إلخ[1].

---

(١) انظر: تاريخ ابن بشر (١/ ١١ - ١٢)، و«عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» (٢/ ١٦٢ - ١٦٧).

الثلاثون: قامت مذكرات همفر المزعومة على محور أساس، وهو أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، هي مجرد صنيعة بريطانية! - كما سبق -.

ومن المعلوم عند الباحثين المتجردين أن موقف الحكومة البريطانية من دعوة الشيخ لم يكن التأييد والدعم - كما يزعم صاحب مذكرات همفر -، وإنما العداء والمحاربة.

فقد لمس الإنجليز آثار دعوة الشيخ رحمه الله السَّلفية، في الهند، أعظم مكان يعتزُّون باستعماره والاستيلاء على خيراته، وذلك عندما تلقَّفها بعض الهنود على يد الشيخ أحمد بن عرفان[(١)]، وأتباعه، ثم من بعده في حركات أُخرى مثل: حركة الفرائضيين، وحركة نزار علي[(٢)]، تلك الحركات التي ناوأت القاديانيَّة الكافرة؛ التي أرادها الإنجليز واجهة إسلامية تُحقّق مآربهم، وينضوي تحتها من لا يعرف من الإسلام إلا اسمه.

ويظهر انزعاج الإنجليز وحرصهم على القضاء على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؛ - التي تُمثّل يقظة جديدة في الدين الإسلامي، ودعوة إلى فهمه من مصادره الصَّافية؛ كتاب الله وسنَّة رسوله محمد ﷺ -، أنَّهم بذلوا جهودًا وأموالًا في هذا السَّبيل.

وقد أبانت رحلة (سادلير) عن ذلك، وهو الضابط البريطاني، وقائد

---

(١) قُتل رحمه الله سنة (١٢٤٦ هـ). انظر عنه: «أحمد بن عرفان الإمام المجاهد»؛ للشيخ سعيد الأعظمي الندوي، و«أحمد بن عرفان الشهيد»؛ للشيخ علي الطنطاوي.

(٢) انظر شيئًا عنها ونشاطها في كتاب: «انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية» - لمحمد كمال جمعة - (ص ٦٣ - ٨٧).

الفوج (٤٧)، ومبعوث الحكومة البريطانية في الهند[١]؛ الذي قام برحلة شاقَّة من الهند إلى أن وقف على أطلال الدرعيَّة، التي هدمها إبراهيم باشا، بناءً على تخطيط اشترك في الإعداد له الإنجليز؛ ليطمئنوا على تفتيت الحكومة الإسلاميَّة التي تحرَّكت في الجزيرة؛ لإيقاظ المسلمين، وليقضي على قاعدة الدعوة السَّلفيَّة بنفسه؛ لِما أحدثته من خوف وقلق داخل الحكومة الإنجليزية؛ خوفًا على مصالحها، وقد كان في رحلته هذه ضمن قافلة كبيرة أغلبها من الأتراك.

فقد مرَّ سادلير بالدِّرعية متخفّيًا في (١٣) أغسطس من عام (١٨١٩م)[٢]، وبعد أن ارتاحت نفسه، شدَّ الرِّحال لاحقًا بإبراهيم باشا، حتى أدركه في (آبار علي)، على مقربة من المدينة المنورة؛ ليُقدِّم له تهاني الحكومة البريطانية بهذا النصر[٣]، مقرونة بهدايا حكومة الهند الشرقية - الحكومة البريطاني -.

يقول الشيخ حمد الجاسر: «عُين سادلير من قِبل حكومة الهند عام ١٨١٩م؛ لمقابلة إبراهيم باشا؛ لتهنئته على انتصاره بعد تلك الغزوة الظالمة، وليؤكد له رغبة الحكومة البريطانية في التعاون معه؛ للقضاء على

(١) انظر نبذة عنه وعن رحلته في: «رحالة غربيون في بلادنا»؛ للشيخ حمد الجاسر (ص ٢٧ - ٧٤).

(٢) انظر: «رحلة عبر الجزيرة العربية»؛ لسادلير (ص ٨٥ - ٨٧، وص ٩٦ - ٩٩، و ص ١٠٥ - ١١٠، و ص ١٤٩، و ص ١٥٦ - ١٥٩). ترجمة: أنس الرفاعي، والناشر: سعود بن غانم العجمي.

(٣) انظر: «محمد بن عبد الوهاب؛ مصلح مظلوم ومفترى عليه»؛ لمسعود الندوي (ص ١٥٠ - ١٥٤)، ورسالة: «التنافس الإنجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية»؛ للدكتور أحمد العُقبي (ص٣١٥).

مابقي للدولة السعودية من نفوذ في الخليج»[١].

ويقول السفير في الخارجية السورية محمد عدنان مراد في كتابه «صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي - جذوره التاريخية وأبعاده»: «كانت بريطانيا هي الوحيدة المستفيدة من الحرب التي انتهت بتحطيم النفوذ السعودي، خوفًا من انتشاره إلى الخليج والبحر العربي.. ويبدو من قول السيد (فرانسيس واردن) - عضو المجلس في بومباي ومساعد المقيم العام - في تقريره الذي قدمه عن تاريخ الدولة السعودية وتبنيها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من ١٧٩٥-١٨١٨م، كيف كان الحقد يأكل قلب الانكليز ضدهم حيث كتب: «وهكذا قامت وسقطت تلك الفرقة الشاذة، لا قامت ثانية، وبحمايتها وتشجيعها انتشرت الغارات البحرية في الخليج، وفي البحار الهندية، بدرجة من النجاح والجرأة والهمجية،لم تفقها إلا وقاحة الجزائريين في أوربة»[٢].

---

(١) انظر: «رحلة عبر الجزيرة العربية»؛ لسادلير (ص ٨٥ - ٨٧، وص ٩٦ - ٩٩، و ص ١٠٥ - ١١٠، و ص ١٤٩، و ص ١٥٦ - ١٥٩). ترجمة: أنس الرفاعي، والناشر: سعود بن غانم العجمي، و«الدولة السعودية الأولى»؛ للدكتور عبد الرحيم عبد الرحيم (ص٢٨٦ - ٢٩٤)، وبيّن فيها أن أول إشارة وردت عن دعوة الشيخ والدولة السعودية في سجلات حكومة بومبي البريطانية كانت عام ١٧٨٧م. فتأمل. وانظر أيضًا: مقال «بريطانيا والدولة السعودية الأولى»؛ للدكتور إسماعيل باغي في «مجلة كلية العلوم الاجتماعية» بجامع الإمام (العدد الأول) حيث تعرض لمظاهر العداء بين بريطانيا والدولة السعودية الأولى من خلال اتباعها «القواسم» في الخليج العربي.

(٢) (ص ٢٦١ - ٢٦٢). وانظر: «تاريخ المملكة العربية السعودية»؛ للدكتور عبدالله العثيمين (١٦٦ - ١٦٨).

تنبيه: كما حاول المناوئون تشويه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، والدولة السعودية الأولى، بأنهما صنيعة بريطانية، فقد فعلوا الشيئ نفسه مع الدولة السعودية الثالثة، بقيادة الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، مستغلين معاهدته الأولى مع بريطانيا «معاهدة =

وقال الشيخ رشيد رضا رحمه الله: «إن الإنكليز يعدون نجاح الوهابية أكبر الأخطار على مطامعهم في العرب والإسلام»[(١)].

وقال الأستاذ محمد كرد علي: «وإذا أردنا أن ننظر بعين المؤرخ المنصف، نرى بريطانيا العظمى هي التي اقتضت سياستها القضاء على أماني محمد علي، بل أماني العرب، من إنشاء دولة عربية، كما أوجبت سياستها قبل ثلاثين سنة أن تدعو الدولة العثمانية إلى حرب الوهابيين في نجد والحجاز، حربًا عوانًا؛ لأنه كان يُخشى أن يؤسسوا - أيضًا - دولة عربية جديدة، ربما كانت عثرة في سبيل أماني تلك الحكومة في شبه جزيرة العرب»[(٢)].

= دارين»، التي اضطُر إليها مؤقتًا، ثم نقضها بمعاهدة «جدة»، (انظر نص المعاهدتين في كتاب: عبدالعزيز آل سعود وبريطانيا؛ للدكتور مفيد الزيدي، ص ٣٦٣ - ٣٦٦).
والذي تولى كِبر الحملة الظالمة: الملك حسين وأولاده، الذين طردهم الملك عبدالعزيز وجنوده من الحجاز. وانظر للرد على حملتهم: «الوهابيون والحجاز»؛ للشيخ رشيد رضا.
وانظر لمعرفة حقيقة علاقة الملك عبدالعزيز ببريطانيا، وكيف استطاع خداعهم، والتعامل معهم بدهاء: «السعوديون والحل الإسلامي»؛ لمحمد جلال كشك رحمه الله (ص ٣١٣ - ٤٣٠). قال (ص ٣١٣): «لقد استطاع عبدالعزيز أن يوظف الامبراطورية البريطانية لخدمة أهدافه، ومامن دليل واحد يُثبت العكس، كما يُمكن القول بأنه ما من حاكم عربي استفاد من صداقة الإنجليز مثل عبدالعزيز، ومامن حاكم عربي، في دائرة النفوذ البريطانية، عجز الإنجليز عن استخدامه لتحقيق هدف واحد من أهدافهم، يتعارض مع مصالحه الوطنية، مثل عبدالعزيز». وقارن موقفه رحمه الله بموقف الملك حسين من بريطانيا، التي خدعته حتى صدّق وعودها بتنصيبه ملكًا على العرب هو وأولاده، إن هو حارب الدولة العثمانية المسلمة معها، ولكنهم لما حققوا أهدافهم منه، قلبوا له ظهر المجنّ، وخيبوا أمله، حتى عاش طريدًا وحيدًا في قبرص! لتعلم أن حملته وأولاده على الدولة السعودية من قبيل المثل العربي: «رمتني بدائها وانسلت».

(١) الوهابيون والحجاز (ص ٧٢).

(٢) خطط الشام (٣/ ٧١ - ٧٢).

الحادي والثلاثون: ادعى همفر أنه عاش في الدرعية مع مجموعة من الضباط البريطانيين المتنكرين! يقول: «وقد اتخذنا الدرعية عاصمة للحكم والدين الجديد، وكانت الوزارة تزود الحكومة الجديدة سرًا بالمال الكافي، كما اشترت الحكومة الجديدة في الظاهر عدة من العبيد، كانوا من خيرة ضباط الوزارة الذين دُربوا على اللغة العربية والحروب الصحراوية، فكنت أنا وإياهم - وعددهم أحد عشر - نتعاون بوضع الخطط اللازمة، وكان المحمَّدان يسيران على ما نضع لهما من الخطط، وكثيرًا ما نتناقش الأمر مناقشة موضوعية، إذا لم يكن أمر خاص من الوزارة»(١). قلت: أين غاب هذا الأمر الخطير العظيم، الذي يُدرك بسهولة، عن أعين المناوئين لدعوة الشيخ في زمنه، وهم من أجهدوا أنفسهم في الترصد للدعوة وأهلها، ووصمهم بما ليس فيهم؟!

ثم قول همفر: «وقد اتخذنا الدرعية عاصمة للحكم والدين الجديد»، يعني أن هذا تم قبل اللقاء التاريخي بين الشيخ محمد والأمير محمد بن سعود - رحمهما الله -، فلماذا تجاهله أهل التاريخ؟

لقد فات كاذب المذكرات: «أن الدولة السعودية عندما قامت في أرض الجزيرة العربية وبدأت بالدرعية، لم تأتِ من فراغ؛ لأن استقرار أسرة آل سعود في المنطقة يعود إلى أزمنة قديمة، باعتبارهم ينتمون إلى قبائل بني حنيفة التي كانت تستوطن المنطقة، وتاريخها معروف، وأعادوا تأسيس حكمهم في الدرعية في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، وناصروا

---

(١) المذكرات (ص ٨٤ - ٨٥).

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي؛ ليؤسسوا بذلك الدولة السعودية الأولى، وعندما سقطت تلك الدولة بفعل الهجوم التركي عليها بقيادة إبراهيم باشا سنة ١٨١٨م، عادت الدولة السعودية الثانية إلى الظهور سنة ١٨٢٤م، وعندما سقطت الدولة السعودية الثانية بفعل الخلافات بين أبناء الإمام فيصل بن تركي سنة ١٨٩١م، عادت مرة ثالثة لتظهر في بداية القرن العشرين الميلادي، عندما تمكن الملك عبد العزيز رحمه الله من استعادة تأسيسها في الرياض سنة١٩٠٢م، ولتصبح ما يُعرف اليوم بالمملكة العربية السعودية، هل هذه الدولة المستمرة، التي تضرب بجذورها في عمق التاريخ صنيعة أو ضمن مخطط مختلق- كما زعم هذا الكتاب المصنوع-؟! أليست هذه التطورات تدل على أن الدولة السعودية راسخة وقوية ومبادئها واضحة مكنتها من الظهور عند اختفائها لعوامل سياسية؟»[1].

❑ ❑ ❑

(١) من مقال الدكتور فهد السماري.

المبحث الخامس
الأدلة على شيعية كاتب «مذكرات همفر»

إن الذي يقرأ مذكرات همفر يجزم بأن مؤلفها ليس نصرانيًا؛ لوجود كثير من العبارات التي فيها الطعن والانتقاص من الدّين النصراني، و الإنجليز أنفسهم، وفيها بعض العبارات التي تمدح الإسلام[١]. كما أن فيها - وهو المهم هنا - معلومات عن مذهب الشيعة، لايمكن لجاسوس مستجد أن يُلم بها، مع ترويجٍ لها بطريقة ماكرة، واستعمال مفردات ونصوص من التراث الشيعي؛ بما يفضح صاحبها المتخفي، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾، وقال: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾.

وقال الشاعر:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالَها تخفى على الناس تُعلمِ

وقال الآخر[٢]:

و(اليد) تنطق والأفواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب ما كانا

وإليك بعض الأدلة على شيعية كاذب المذكرات، وقد قسمتها إلى عناوين:

الأول: مدح الشيعة، وتلميع مذهبهم وشخصياتهم:

١- قال همفر: «وكان المسلمون (الشيعة) في البلاد الفارسية أخطر؛ حيث إنهم يرون المسيحية كفارًا نجسين»[٣]. وهذا مجرد محاولة لتحسين

---

(١) انظر - على سبيل المثال -: (ص ١٤، ١٥، ١٦، ٢٤، ٢٦، ٤٨، ٥٠، ٦٦).

(٢) بتصرف.

(٣) المذكرات (ص ٧).

صورة الشيعة، وادعاء أنهم يقفون ضد مخططات الغرب النصراني الكافر، وكاذب المذكرات يعلم أن هذا شرفٌ لا يستحقه الروافض. وأظن خياناتهم للأمة وتواطؤهم مع أعدائها لم يعد يخفى على أحد. قديمًا وحديثًا[١].

٢- قال همفر: «علماء فارس كانوا أمنع سدًا أمام آمالنا»[٢].

وهذا مدح لعلماء الشيعة! ومثله قوله[٣]: «ومن الحلة ذهبت إلى النجف في زى تاجر من تجار أذربيجان، والتقيت برجال الدين، وأخذت أراودهم وأحضر مجالسهم، وأُعجبت بهم أيما إعجاب؛ لصفاء روحهم، وغزارة علمهم..».

٣-قال همفر - في هيام شيعي -: «أما مرقد الإمام أمير المؤمنين - كما يسمونه -، فهو مرقد جميل، مزخرف بأنواع الزخرفة الجميلة، وله حرمٌ جميل، وعليه قبة ذهبية، ومنارتان ضخمتان ذهبيتان..»[٤].

٤-قال همفر: «وقبل أن ينتهي الشهر، خرجت من الخان، لألقي رحلي في دكان النجار، وكان رجلا شهمًا شريفًا، عاملني كأحد أولاده، وكان اسمه (عبد الرضا)، وكان شيعيًا فارسيًا من أهالي خراسان..»[٥].

قلت: تأمل وصفه للشيعي (عبد الرضا)! بأنه «شهمٌ شريف»، وقارنه

---

(١) انظر: «خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية»؛ للأستاذ عماد علي عبد السميع حسين.

(٢) المذكرات (ص ٩).

(٣) المذكرات (ص ٤٤).

(٤) المذكرات (ص ٤٥).

(٥) المذكرات (ص ٣٠).

بوصم السني (خالد) بالشذوذ! - كما سيأتي -.

٥- قال همفر: «وإني أظن أن الحق مع الشيعة في خلافة علي والحسن والحسين؛ لأن الثابت من التاريخ الإسلامي - حسب مطالعاتي - أن عليًا كان يمتاز بصفات عالية تؤهله للقيادة، ولا أستبعد أن يكون الرسول محمد قال بأن الحسن والحسين أيضًا إمامان، وهذا لا ينكره أهل السنة أيضًا»[١]!

قلت: لم يستطع الشيعي كاذب المذكرات أن يخفي مذهبه؛ فصدرت منه هذه الفلتة، في محاولة ساذجة لتصحيحه وترويجه.

٦-قال همفر عن محاورة الشيخ محمد مع الشيخ الشيعي القمي: «جرى بين محمد و الشيخ حوار عنيف لم أحفظ كله وإنما حفظت مقتطفات عنه.
قال له القمي: إذا كنت أنت متحررًا ومجتهدًا كما تدعي، فلماذا لا تتبع عليًا كالشيعة؟

قال محمد: لأن عليًا مثل عمر وغيره، ليس قوله حجة، وإنما الحجة الكتاب والسنة فقط.

قال القمي: ألم يقل الرسول: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**»[٢]؟ إذن ففرق بين علي وبين باقي الصحابة.

قال محمد: إذا كان قول علي حجة، فلماذا لم يقل الرسول: «كتاب الله وعلي بن أبي طالب»؟

---

(١) المذكرات (ص ٢٣).

(٢) قال شيخ الإسلام عنه في «منهاج السنة» (٧/ ٥١٥): «إنما يُعد في الموضوعات»، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (رقم: ١٣٢٢)، وانظر تخريجه الموسع في رسالة «تخريج حديث (أنا مدينة العلم، وعَليٌّ بابها)»؛ للشيخ خليفة الكواري.

قال القمي: بل قال، حيث قال ﷺ: «**كتاب الله وعترتي أهل بيتي**»[1]، وعلي سيد العترة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٨٦). وقد أخرجه مسلم (٢٤٠٨) بلفظ: «**وأنا تاركٌ فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه. ثم قال: وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي..**»، ففي هذا الحديث الحث على التمسك بالقرآن الكريم دونما سواه، وفيه الحث على بر أهل البيت، ومعرفة حقهم. وإجابةً عن شبهة الرافضة حول حديث الترمذي - إن قيل بصحته -، قال الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (برقم ١٧٦١): «و اعلم أيها القارىء الكريم، أن من المعروف أن الحديث مما يحتج به الشيعة، و يلهجون بذلك كثيرًا، حتى يتوهم أهل السنة أنهم مصيبون في ذلك، و هم جميعًا واهمون في ذلك، و بيانه من وجهين:
الأول: أن المراد من الحديث في قوله ﷺ: «**عترتي**» أكثر مما يريده الشيعة، و لا يرده أهل السنة، بل هم مستمسكون به، ألا و هو أن العترة فيهم هم أهل بيته ﷺ، و قد جاء ذلك موضحًا في بعض طرقه؛كحديث الترجمة: «**عترتي أهل بيتي**»، و أهل بيته في الأصل هم نساؤه ﷺ، وفيهن الصديقة عائشة - رضي الله عنهن جميعًا -؛ كما هو صريح قوله تعالى في (الأحزاب): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، بدليل الآية التي قبلها و التي بعدها: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾
وتخصيص الشيعة (أهل البيت) في الآية بعلي و فاطمة و الحسن و الحسين رضي الله عنهم دون نسائه ﷺ من تحريفهم لآيات الله تعالى انتصارًا لأهوائهم،كما هو مشروح في موضعه،وحديث الكساء و ما في معناه، غاية ما فيه توسيع دلالة الآية، ودخول علي وأهله فيها ؛كما بينه الحافظ ابن كثير وغيره، وكذلك حديث «العترة» قد بين النبي ﷺ أن المقصود: أهل بيته ﷺ بالمعنى الشامل لزوجاته و علي و أهله. =

. . . .

= ولذلك قال التوربشتي -كما في«المرقاة» (٥/ ٦٠٠) -: «عترة الرجل: أهل بيته و رهطه الأدنون، ولاستعمالهم العترة على أنحاء كثيرة بيّنها رسول الله ﷺ بقوله:«أهل بيتي»؛ ليُعلم أنه أراد بذلك نسله وعصابته الأدنين و أزواجه».

و الوجه الآخر: أن المقصود من «أهل البيت»، إنما هم العلماء الصالحون منهم و المتمسكون بالكتاب و السنة، قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى: « (العترة) هم أهل بيته ﷺ، الذين هم على دينه وعلى التمسك بأمره».

وذكر نحوه الشيخ علي القاري في الموضع المشار إليه آنفًا، ثم استظهر أن الوجه في تخصيص أهل البيت بالذكر ما أفاده بقوله: «إن أهل البيت غالبا يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم، المطلعون على سيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحكمه وحكمته، وبهذا يصلح أن يكون مقابلًا لكتاب الله سبحانه؛ كما قال: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾».

قلت: و مثله قوله تعالى في خطاب أزواجه ﷺ في آية التطهير المتقدمة: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾.

فتبين أن المراد بـ (أهل البيت): المتمسكين منهم بسنته ﷺ، فتكون هي المقصود بالذات في الحديث، و لذلك جعلها أحد (الثقلين) في حديث زيد بن أرقم، المقابل للثقل الأول و هو القرآن، وهو ما يشير إليه قول ابن الأثير في «النهاية»: «سماهما (ثقلين) لأن الآخذ بهما (يعني الكتاب والسنة) والعمل بهما ثقيل، و يقال لكل خطير نفيس (ثقل)، فسماهما (ثقلين) إعظامًا لقدرهما و تفخيمًا لشأنهما».

قلت: والحاصل أن ذكر أهل البيت في مقابل القرآن في هذا الحديث؛ كذكر سنة الخلفاء الراشدين مع سنته ﷺ في قوله: «**فعليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين...**». قال الشيخ القاري (١/ ١٩٩): «فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي، فالإضافة إليهم، إما لعملهم بها، أو لاستنباطهم و اختيارهم إياها».

إذا عرفت ما تقدم؛ فالحديث شاهد قوي لحديث الموطأ بلفظ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنة رسوله**»، وهو في «المشكاة» (١٨٦). وقد خفي وجه هذا الشاهد على بعض من سوّد صفحات من إخواننا الناشئين اليوم في تضعيف حديث الموطأ. و الله المستعان». انتهى كلام الألباني رحمه الله.

فأنكر محمد أن يكون الرسول قال ذلك، لكن الشيخ القمي جاء إليه بأدلة مقنعة؛ حتى سكت محمد ولم يحر جوابًا»[(١)]!

قلت: تأمل كيف بث الشيعي كاذب المذكرات مذهبه على لسان همفر النصراني! زاعمًا أن الشيخ محمد «لم يحر جوابًا» لهذه «الأدلة المقنعة»!

ولاتغفل أن العقل الشيعي - كما يعلم الباحثون - مولع بفبركة المناظرات الوهمية بين علماء السنة وعلماء مذهبه، ويستحيل أن تجد مؤلفًا لشيعي معاصر أو من القدماء إلا وتجد له مناظرات مع أهل السنة، وجميعها تنتهي بالانتصار المؤزر للرافضة[(٢)]!

٧- قال همفر: «قلت له - أي الشيخ محمد - ذات مرة: متعة النساء جائزة. قال: كلا. قلت: فالله يقول: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾. قال: عمر حرّم المتعة قائلًا: «متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما»[(٣)].

قلت: أنت تقول أنا أعلم من عمر، فلماذا تتبع عمر، ثم إذا قال عمر: إنه حرمها، وأن الرسول حلّلها فلماذا تترك رأي القرآن ورأي الرسول، وتأخذ برأي عمر؟ فسكت»[(٤)]!

---

(١) المذكرات (ص ٣٣).

(٢) انظر على سبيل المثال: «تفسير الأمثل»؛ لمكارم الشيرازي (٧/ ٣٨١)، و«كنز الفوائد»؛ للكراجكي (٢/ ٣٦ - ٣٧)، و«بحار الأنوار» (١٠/ ٢١٦) و(٤٧/ ٢٤٠)، و«أعيان الشيعة»؛ لمحسن الأمين (١/ ١٥١).

(٣) أخرجه البيهقي (١٣٩٤٨). وقال بعده: «فكان نهي عمر بن الخطاب ﷺ عن نكاح المتعة موافقًا لسنة رسول الله ﷺ» - كما سيأتي -.

(٤) المذكرات (ص ٣٦).

قلت: تأمل كيف انقلب النصراني همفر إلى مبشر بعقائد الرافضة! وهو هنا - كما يُقال - أصاب عصفورين بحجر واحد! وأراد من هذا الحوار المختلق أمرين:

أولًا: أن حجة المحللين للمتعة - وهو الرافضة - أقوى من حجة المحرمين لها - وهم أهل السنة -(١).

ثانيًا: لمز عمر رضي الله عنه بأنه المحرِّم للمتعة، وأنه بهذا خالف أمر الرسول ﷺ؛ فحرّم ما أحله! وهي شنشنة رافضية يُرددونها عند الحديث عن المتعة(٢).

٨- قال همفر - على لسان الخطة التي وضعها الإنجليز؛ لإضعاف الإسلام وأهله -: «أما المقابر؛ فاللازم هدمها بحجة أنها لم تكن في عصر النبي، وأنها بدعة، كما أن اللازم صرف الناس عن الزيارات بالتشكيك في

---

(١) يُنظر للرد على الشيعة في تحليلهم للمتعة: رسالة «تحريم نكاح المتعة»؛ لأبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، حققها وخرج أحاديثها الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله، ورسالة «الشيعة و المتعة»؛ للشيخ محمد مال الله رحمه الله.

(٢) وهو من كذبهم عليه رضي الله عنه، وإنما هو موافق - كما سبق - لسنة رسول الله ﷺ، حيث قال: «إن رسول الله ﷺ أذن لنا في المتعة ثلاثًا، ثم حرمها». أخرجه ابن ماجه (١٩٦٣)، وحسنه الألباني. قال الصنعاني ردًا على الشيعة الطاعنين في عمر: «فهو صريح أن عمر ما نهى إلا راويًا للحديث، لا من تلقاء نفسه». (منحة الغفار: ٢/ ٧٤٩). قلت: ومما يُفحم الشيعة أن النهي عنها قد جاء من طريق علي بن أبي طالب رضي الله عنه! كما في البخاري (٤٢١٦) ومسلم (١٤٠٧). ورحم الله شيخ الإسلام، حيث قال للرافضي: «فأهل السنة اتبعوا عليًا وغيره من الخلفاء الراشدين فيما رووه عن النبي ﷺ، والشيعة خالفوا عليًا فيما رواه عن النبي ﷺ، واتبعوا قول من خالفه»! (منهاج السنة: ٤/ ١٩٠ - ١٩١).

كون هذه المقابر الموجودة للنبي والأئمة والصالحين. . والبقيع يجب تسويتها مع الأرض،كما يجب هدم كل القباب والأضرحة الموجودة للمسلمين في كل بلادهم»[١].

قلت: يريد الرافضي الكذوب إيهام القراء أن هدم القباب المبنية على القبور هو مخطط إنجليزي! لا اتباعًا من فاعليه - وعلى رأسهم أتباع الدعوة السلفية - للسنة. ومثله قوله:

: «والحسينيات يجب هدمها، واتهامها بأنها بدعة وضلالة، وأنها لم تكن في عهد الرسول وخلفائه، كما يجب منع الناس عن ارتيادها بكل الوسائل. . »[٢].

٩- جعل همفر من مهمتهم لإضعاف المسلمين: «التشكيك في الخُمُس»! والتشكيك في إعطائه للعلماء[٣]! فكأنه يوجه رساله تحذيريه لعوام الشيعة المقلدين بأن من يُشكك في الخُمس هو عميل وجاسوس، يهدف إلى إسقاط ركيزة مهمة من ركائز المذهب! ليضمن تدفق الأموال إلى المراجع!

١٠-قال همفر[٤]: «أصبح عددهم - أي الشيعة - بعدد أهل السنه».

---

(١) المذكرات (ص ٧١). وفي (ص ٦٣) جعلها من أسباب قوة المسلمين! لأنها «مركز تجمعهم وانطلاقهم»!

(٢) المذكرات (ص ٧٢). وفي (ص ٦٤) جعل من منافعها أنها تُحرّض «على العمل الصالح»!

(٣) المذكرات (ص ٧٠).

(٤) المذكرات (ص ٣٢).

قلت: هذه شنشنة شيعية تتردد كثيرًا في كتاباتهم، في محاولة منهم لتكثير سوادهم، ولو بالكذب[1].

الثاني: استعمال العبارات والآثار الشيعية:

١- قال همفر: «فكنت أعتكف أيام مرضي في مكان تحت الأرض، يسمى (السرداب»)[2]!

٢- قال همفر: «وكنت قد قلت للشيخ - أحمد أفندم -: إني شاب قد مات أبي وأمي، وليس لي إخوة، وتركوا لي شيئًا من المال، ففكرت أن أكتسب، وأن أتعلم القرآن والسنة، فجئت إلى مركز الإسلام؛ لأحصل على الدين والدنيا. فرحب بي الشيخ كثيرًا وقال لي ما نصه - وقد كتبته بلفظه -: إن الواجب أن نحترمك لعدة أسباب: لأنك مسلم، والمسلمون أخوة، ولأنك ضيف، وقد قال رسول الله: أكرموا الضيف، ولأنك طالب علم، والإسلام يؤكد على إكرام طالب العلم، ولأنك تريد الكسب، وقد ورد نص بأن (الكاسب حبيب الله»)[3].

قلت: قوله: «الكاسب حبيب الله»، هذا من أحاديث الشيعة، ومن

---

(١) انظر للرد على أكاذيبهم في مسألة تكثير سوادهم: رسالة «التجمعات الشيعية في الجزيرة العربية»؛ للأستاذين الفاضلين: أسامة شحادة و هيثم الكسواني. وقالا بعد الرد على كذب الشيعة (ص ١٩٥): «وهذا الزعم بادعاء الأغلبية يهدف إلى أن يأخذ الشيعة حجمًا يفوق حجمهم الحقيقي، كما أنه يهدف إلى إقصاء السنة من الحكم، بحجة أنهم الأقلية التي استأثرت بالحكم عقودًا طويلة».

(٢) المذكرات (ص ٤٨).

(٣) المذكرات (ص ١٤).

العبارات الدارجة عندهم، وفي كتبهم[١]!

٣- قال همفر[٢]: «هل صحيح أن النبي آخى بين الصحابة؟ قال: نعم. قلت: هل أحكام الإسلام وقتية أم دائمة؟ قال محمد: بل دائمة؛ لأن الرسول يقول (حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة) ».

قلت: هذا الحديث المزعوم هو - أيضًا - من أحاديث الشيعة[٣]!

٤- قال همفر[٤]: «ولفقت له ذات مرة حلمًا، فقلت له: إني رأيت البارحة في المنام رسول الله - ووصفته بما كنت سمعته من خطباء المنابر - جالسًا على كرسي، وحوله جماعة من العلماء،لم أعرف أحدًا منهم، وإذا بي أراك قد دخلت ووجهك يُشرق نورًا، فلما وصلتَ إلى الرسول؛ قام الرسول إجلالًا وقبّل بين عينيك، وقال لك: يا محمد، أنت سميي ووارث علمي، والقائم مقامي في إدارة شؤون الدين والدنيا..».

---

(١) انظر على سبيل المثال: «مصباح الفقاهة»؛ للخوئي (٦/ ٤٧٤). و«موسوعة دهخدا الفارسية»؛ للأمثال الفارسية الشيعية. بل إن محمد الشيرازي - المتهم بوضع المذكرات كما سيأتي إن شاء الله - قد استعملها في كتبه! فقد جاء في «المسائل المقدادية» له، في «أحكام الحج - المبيت بمنى» (سؤال ٥٦١): «هل يُعد الكسب في هذه المسألة عبادة، باعتبار أن الكاسب حبيب الله؟ ج: لا يُعد كذلك».

(٢) المذكرات (ص ٤٠).

(٣) انظر على سبيل المثال: «الفصول المهمة في أصول الأئمة» (٢/ ٤٣)، و«مستدرك الوسائل» (١٨/ ٥)، و«شرح نهج البلاغة»؛ للحائري (١٠٨/ ١٠)، و«أجود التقريرات»؛ للخوئي (٥/ ٢٠)، و«كتاب الغيبة الكبرى» (١/ ١٩٨)، وغيرها كثير.

(٤) المذكرات (ص ٤٠ - ٤١).

قلت: قوله: «سميي ووارث علمي، والقائم مقامي» عبارة شيعية بامتياز! فقد ذكر شيخهم الكليني[(١)] - حديثًا طويلًا -: . . . عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه السلام، قال: قال أبي عليه السلام لجابر بن عبد اللّه الأنصار: إن لي إليك حاجة، فمتى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟ فقال له جابر: أي الأوقات أحببته، فخلا به في بعض الأيام فقال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة عليها السلام - إلى أن قال - قال جابر: فأشهد باللّه! أنّي هكذا رأيت في اللوح مكتوبًا: بسم اللّه الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من اللّه العزيز الحكيم. . . حقّ القول منّي لأُسرَنّه - أي الرضا عليه السلام - بمحمد ابنه، وخليفته من بعده، ووارث علمه، فهو معدن علمي، وموضع سرّي، وحجّتي على خلقي».

٥- قال همفر[(٢)]: «ويأمرهم - أي الإسلام - بقوة الاقتصاد، ففي الحديث: «من لا معاش له لا معاد له».

قلت: هذا الحديث من أحاديث الشيعة، التي تتردد في كتبهم، لا سيما المعاصرة[(٣)]!

٦- قال همفر[(٤)]: «ويأمرهم بمعاهدة أبدانهم وصحتهم، ففي الحديث

---

(١) في «الكافي» (١/ ٧٧١). وانظر: «الحق المبين في معرفة المعصومين» (٥٢/ ١٥)، و«موسوعة الإمام الجواد» (١/ ١٣٧).
(٢) المذكرات (ص ٦٢).
(٣) انظر على سبيل المثال: «التوحيد يتجلى في الحياة»؛ لمحمد تقي المدرِّسي (ص ٧٣)، و«أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع»؛ لحسن الصفار (ص ٢١٧).
(٤) المذكرات (ص ٦١).

(إنما العلوم أربعة: علم الفقه لحفظ الأديان، وعلم الطب لحفظ الأبدان، وعلم النحو لحفظ اللسان، وعلم النجوم لحفظ الأزمان)».

قلت: وهذا الحديث المزعوم مما ينسبه الشيعة لعلي رضي الله عنه[١]!

٧- قال همفر[٢]: «وأما قصة كربلاء فإنها تبتدئ منذ قُتل فيها سبط رسول الله الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت الرسول، فقد دعا أهلُ العراق الحسينَ ليأتيهم من المدينة - الحجاز؛ ليتخذوه خليفة، لكنه لما وصل هو وأهل بيته إلى أرض كربلاء، التي تبتعد عن الكوفة قرابة اثني عشر فرسخًا، قلب أهل العراق عليه الأمر، وخرجوا لقتاله بأمر من يزيد بن معاوية - الخليفة الأموي القاطن في الشام -، فقاتل الحسين بن علي مع أهل بيته الجيش الأموي الكثيف العدد قتال الأبطال، حتى قُتل هو وأهل بيته، وقد أبدى الجيش الأموي في هذه المعركة كل نذالة وسفالة..».

قلت: تأمل العاطفة واللغة الشيعية كيف غلبت كاذب المذكرات في صياغة هذا الحدث، مع تعريضه بالأمويين، وهو النصراني المحايد!

الثالث: تشويه مذهب أهل السنة والشخصيات التي يُعاديها الشيعة:

١-قال همفر: «وقلت له - أي الشيخ محمد -: لقد صح أن معاوية ويزيد وخلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس كانوا يتعاطون الخمر، فهل من الممكن أن يكون كل أولئك على ضلال وأنت على صواب؛ إنهم لا شك

---

(١) انظر على سبيل المثال: «بحار الأنوار» (١/ ٢١٨)، و«مستدرك الوسائل» (٤/ ٢٠٥). وغيرها. وقد استشهد به المتهم بوضع المذكرات «الشيرازي» في كتابه «مبادئ الطب»! وعزاه لـ «معدن الجواهر» (ص ٤٠).

(٢) المذكرات (ص ٤٢ - ٤٣).

كانوا أفهم لكتاب الله وسنة الرسول ﷺ، مما يدل على أنهم لم يفهموا التحريم، وإنما فهموا الكراهة والإعافة، وفي الأسفار المقدسة لليهود والنصارى إباحة الخمر، فهل يُعقل أن يكون الخمر حرامًا في دين وحلالًا في دين، والأديان كلها من عند إله واحدٍ؟ ثم إن الرواة رووا أن عمر شرب الخمر حتى نزلت الآية: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾، ولو كانت الخمر حرامًا لعاقبه الرسول ﷺ، فعدم عقاب الرسول دليل الحلّية»[1]!

قلت: بهذا الأسلوب ظاهر البراءة والتجرد! لم يكتفِ الشيعي كاذب المذكرات بتشويه صورة الشيخ محمد فقط، إنما ضم إليه مجموعة ممن تعدهم الشيعة من أعدائها، وهم: عمر ومعاوية رضي الله عنهما، ويزيد، وبني أمية، وبني العباس. معتمدًا الكذب الرخيص.

٢ - قال همفر - مخاطبًا بديل شيخ الإسلام الدولة العثمانية، الممثل لوجهة نظر السنة بزعمه -: «فقدمت إلى البدل وقلت له: أفندم هل تجب طاعة الخليفة؟ قال: نعم يا ولدي، مثل وجوب طاعة الله ورسوله.

قلت له: أفندم بأي دليل؟

قال: ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾؟

قلت: أفندم، إذا كان الخليفة أولي الأمر، فكيف يأمرنا الله بطاعة يزيد الذي أباح المدينة المنورة لجيشه، وقتل الحسين سبط رسول الله ﷺ، وكيف يأمرنا الله بطاعة الوليد الذي كان يشرب الخمر.. إلخ»[2].

---

(١) المذكرات (ص ٣٧).

(٢) المذكرات (ص ٥٦ - ٥٧).

قلت: تأمل كيف أصبح أمر «يزيد» حاضرًا في ذهن كاتب المذكرات «النصراني المزعوم»! حتى شغل سؤاله الوحيد لبديل شيخ الإسلام في تركيا! فأصبح على رأس اهتماماته.

إنها نفس الأمور التي تشغل أذهان الرافضة في كل عصر ومكان: «يزيد»، «مقتل الحسين»، «الوليد»..

٣- قال همفر: «أما سائر الأيام فقد كنت أذهب إلى نجار هناك، أشتغل عنده لقاء أجر زهيد، كان يدفعه لي أسبوعيًا، وحيث كان عملي في فترة الصباح فقط، فقد كان يجرى لي نصف أجور عماله، وكان اسم النجار (خالد)، وكان يثرثر في أوقات فراغه عن فضائل خالد بن الوليد.. وكان خالد صاحب المحل سيىء الأخلاق، عصبي المزاج إلى أبعد حد، وكان يطمئن مني اطمئنانًا لم أدر سببه، ولعله وثق بي، حيث كنت مطيعًا سماعًا له، لا أناقشه في شؤونه الدينية، ولا في شؤون دكانه، وكان إذا خلا بي طلب مني أن يلوط بي»[١]!!

قلت: تأمل هذا الطعن المبطن لعدوهم: قاهر الفرس المجوس، وبطل الفتوحات الإسلامية، وسيف الله المسلول، (خالد) بن الوليد ﵁، حيث جعل اسمه لرجل شاذ! وهذا الطعن الصبياني الوقح غير مستغرب على من نشأ سبابًا شتامًا لأهل الفضل منذ صغره، وكم لهم من مثل هذه المواقف الشيئ الكثير[٢].

---

(١) المذكرات (ص ١٦- ١٧).

(٢) وقد عُرف عن الرافضة بغضهم لخالد بن الوليد ﵁، الذي سماه الرسول ﷺ «سيف الله»؛ كما جاء في قصة مؤتة عند البخاري (٤٢٦٢): «أن النبي ﷺ نعى زيدًا =

٤- قال همفر - شارحًا مذهب أهل السنة بزعمه -: «أما أهل السنة فإنهم يقولون بأن المسلمين رأوا - بعد الرسول - أن أبا بكر ثم عمر ثم عثمان أصلح للخلافة من علي، ولذلك تركو أمر الرسول محمد، واتخذوا هؤلاء خلفاء للرسول. .»[1]!

قلت: تأمل كيف حشر عبارة «تركوا أمر الرسول»! تصحيحًا لمذهب

= وجعفرًا وابنَ رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: **أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب، حتى أخذها سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم**». وسبب بغضهم لخالد رضي الله عنه أنه ساهم مساهمة مجيدة في إسقاط دولة الفرس المجوس، أسلافهم. حتى أن الشاه إسماعيل الصفوي، أشهر حكام الدولة الصفوية الرافضية كان يتعقب كل من ينتسب لذرية خالد؛ فيقتله! (انظر: خريطة الشيعة في العالم؛ لأمير سعيد، ص ٨٨ - ٨٩). وقد أجاد شيخ الإسلام رحمه الله الدفاع عن هذا الصحابي الجليل، عندما تطاول عليه الرافضي، فقال ردًا عليه: «قال الرافضي: وسموا خالد بن الوليد سيف الله عنادًا لأمير المؤمنين الذي هو أحق بهذا الاسم. . وخالد لم يزل عدوًا لرسول الله ﷺ مكذبًا له. .إلخ.

فيقال: أما تسمية خالد بسيف الله، فليس هو مختصًا به، بل هو سيف من سيوف الله، سلة الله على المشركين، هكذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ، والنبي ﷺ هو أول من سماه بهذا الاسم؛كما ثبت في صحيح البخاري. . وهذا لا يمنع أن يكون غيره سيفًا لله تعالى، بل هو يتضمن أن سيوف الله متعددة، وهو واحد منها، ولا ريب أن خالدًا قتل من الكفار أكثر مما قتل غيره، وكان سعيدًا في حروبه، وهو أسلم قبل فتح مكة بعد الحديبية. . ومن حين أسلم كان النبي ﷺ يؤمّره في الجهاد، وخرج في غزوة مؤته. . وأرسله إلى هدم العزى، وأرسله إلى بني جذيمة، وأرسله إلى غير هؤلاء. .وأمّره أبو بكر على قتال أهل الردة، **وفتح العراق**، والشام، فكان من أعظم الناس غناءً في قتال العدو، وهذا أمر لا يمكن أحد إنكاره، فلا ريب أنه سيف من سيوف الله، سله الله على المشركين. . الخ دفاعه المجيد عنه». (منهاج السنة: ٤/ ٤٧٦ - ٥٠٦).

(١) المذكرات (ص ٢٥).

أسلافه الرافضة، وتخطئة لأهل السنة، على لسان النصراني، الذي أصبح هو الخصم والحكَم!

٥- قال همفر[١] - عن محاولتهم نشر الدكتاتورية بين المسلمين -: «فأبو بكر جاء للحكم بسيف عمر وإرهابه، وإحراقه للبيوت التي لم ترضخ للطاعة؛كبيت فاطمة بنت محمد»!

قلت: تأمل مكر الرافضي كاذب المذكرات، حيث مرّر هذه الحادثة الشهيرة عند الشيعة بـ«حادثة كسر ضلع فاطمة»[٢]! على لسان النصراني همفر، وكأنها حقيقة ثابتة. كل هذا نكاية في عدوهم عمر رضي الله عنه.

الرابع: محاولة تثوير الشيعة على وضعهم:

١- قال همفر: «قلت لأحدهم - أحد علماء الشيعة -: أليس الواجب أن تغيروا الظلم كما غير رسول الإسلام؟ قال: الرسول كان يسنده الله، ولذا تمكن. قلت: في القرآن الحكيم: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾، فأنتم أيضًا يسندكم الله إن قمتم بالسيف في وجه طغيان الخليفة. قال: أنت تاجر، وهذه مواضيع علمية يقصر فهمك عن ملاحقتها»[٣].

الخامس: استعداء المسلمين على السلفية، وأنها مذهب جديد:

١- قال همفر: «أخذت في إذكاء روحه - أي محمد بن عبدالوهاب -

---

(١) المذكرات (ص ٦٢).

(٢) وانظر في بيان كذبها: رسالة الشيخ عثمان الخميس «من القلب» (ص ٥٩ - ٦٠)، و«مظلومية الزهراء.. إلى متى، ولحساب من؟»؛ لعبد الجبار البحراني. وقد كذّب هذه الأسطورة غير واحد من الشيعة المعاصرين؛ كحسين فضل الله، وأحمد الكاتب، وحسين المؤيد.

(٣) المذكرات (ص ٤٥).

في أن يكوّن لنفسه طريقًا ثالثًا غير السنة والشيعة».

قلت: هذه الاسطوانة نسمعها كثيرًا من الشيعة، حيث يحاولون إيهام المسلمين أن الدعوة السلفية، التي يسمونها الوهابية!، مخالفة للشيعة وللسنة! والسنة عندهم هم من يُسوّغ القبوريات والبدع. في محاولة ماكرة منهم لإقامة الحواجز بين المسلمين وبين هذه الدعوة المباركة. وقد أثار مثل هذا الافتراء بعض المناوئين زمن الشيخ، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ لهم: «إنّا لما أنكرنا عبادة غير الله؛ بالغتم في عداوة هذا الأمر وإنكاره، وزعمتم أنه مذهب خامس، وأنه باطل»[١].

٢- قال همفر[٢]: «أما الشيخ محمد عبد الوهاب فكان يزدري بأبي حنيفة أيما ازدراء، وكان يقول عن نفسه: إني أكثر فهمًا من أبي حنيفة..».

قلت: محاولة ساذجة من الرافضي لتهييج الأحناف على الشيخ محمد ودعوته السلفية - لاسيما وهم كثرة في بلده العراق، كما أن قبر الإمام أبي حنيفة بها -. وردًا على هذا الافتراء، قال الشيخ: «نحن مقلدون للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة، وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة؛ أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل - رحمهم الله -»[٣]. وقال: «أما مذهبنا؛ فمذهب الإمام أحمد إمام أهل السنة، ولا نُنكر على أهل المذاهب الأربعة، إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة، وإجماع الأمة وقول جمهورها»[٤]. وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فنحن

(١) المرجع السابق، ص ٤٠ .
(٢) المذكرات (ص ٣٥).
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ٩٦).
(٤) المرجع السابق ص ١٠٧ .

ولله الحمد، متبعين غير مبتدعين، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وحتى من البهتان الذي أشاع الأعداء أني أدعي الاجتهاد، ولا أتّبع الأئمة. . »[١].

مَن هو كاذب «مذكرات همفر»؟

بعد أن قرأنا بعض الشواهد التي تؤكد «شيعية» كاتب المذكرات، المنسوبة زورًا للجاسوس النصراني النكرة «همفر»، يحسن بي نقل اعتراف أحد الشخصيات المعاصرة الموثوقة عند الشيعة[٢]، ممن لا تلحقه التهمة أو المحاباة عندهم، وهو حسن بن فرحان المالكي[٣]، الذي أنطقه الله

---

(١) المرجع السابق ص ٤٠ .

(٢) حيث يُحتفى به وبكتبه في منتدياتهم وقنواتهم إلى هذه الساعة.

(٣) زيدي معاصر، مُشغّب على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية. رد عليه غير واحد من أهل السنة، من تلك الردود: «الانتصار للصحابةِ الأخيار في ردِّ أباطيل حسن المالكي»؛ للشيخ عبد المحسن العباد، و«حراسة العقيدة»؛ للشيخ ناصر العقل، و«الرد السديد على مطاعن حسن المالكي على أئمة الدعوة ومقررات التوحيد»؛ للشيخ إبراهيم الرحيلي، و«دحر افتراءات أهل الزيغ والارتياب عن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب»؛ للشيخ ربيع المدخلي، و«قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة»؛ للشيخ عبدالعزيز بن فيصل الراجحي، و«الإنقاذ من دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي»؛ للدكتور سليمان بن حمد العودة، و«الاستنفار للذب عن الصحابة الأخيار»؛ للشيخ سليمان بن ناصر العلوان، و«إضرام النيران ببعض ضلالات حسن بن فرحان»؛ للشيخ سليمان البهيجي، و«الإبطال والرفض لعدوان من تجرأ على (كشف الشبهات) بالنقض»؛ للشيخ عبد الكريم بن صالح الحميد، و«الحجج السلفية في الرد على آراء ابن فرحان المالكي البدعية»؛ للشيخ عبدالعزيز الريس، و«تناقضات حسن المالكي»؛ للشيخ عبدالرحمن الجفن، ولكاتب هذه الأسطر: «سرقات حسن المالكي»، مطبوعة ضمن رسالة «نظرات شرعية في فكر منحرف».

بالحق، ليكتب في رسالته «محمد بن عبدالوهاب داعية وليس نبيًا»[1]:

«أما اتهام الوهابية بأنهم صنيعة بريطانية بناء على مذكرات رجل بريطاني، اشتهرت كثيرًا عبر منتديات الإنترنت، فهي باطلة، وكان ذلك البريطاني الذي نُسبت إليه المذكرة - واسمه «همفر» - قد زعم فيها أنه التقى الشيخ في البصرة، وأنه وجهه إلى نجد نكاية بالدولة العثمانية.. إلخ.

فهذا من البهتان والباطل المكشوف لأسباب، أهمها:

الأول: أن الشيخ وأئمة آل سعود «محمد وابنه عبد العزيز» لبثوا يحاربون الرياض ودخنة ومنفوحة وتلك الأحياء القريبة من الدرعية ما يزيد على عشرين سنة، ولو كان عندهم دعم بريطاني؛ لما لبثوا في حرب تلك المدن والأحياء القريبة إلا أيامًا أو شهورًا على أبعد تقدير.

الثاني: مذكرات ذلك البريطاني المسمى «همفر» لا تصح، وقد أخبرني بعض الإخوة من الشيعة المعتدلين: أن الذي وضعها هو أحد المراجع الشيعية الإمامية نكاية بالوهابية، وعندي اسم ذلك الشيخ الإمامي الذي وضع تلك المذكرة على لسان همفر، وقد ذكر ما يمكن أن يدل على أن واضع تلك المذكرة هو ذلك الشيخ الشيعي..».

قلتُ: والحق ما شهدت به الأعداء!

وأما اسم كاذب المذكرات، فقد اشتهر بأنه مرجعهم الهالك قريبًا

---

(١) (ص ١٢٦ - ١٢٧). وقد رد على كتابه هذا: الشيخان: ربيع المدخلي، وعبدالكريم الحميد - كما سبق -، ورددت على شبهاته المتعلقة بكتاب «الدُرر السَنية في الأجوبة النجدية» في رسالتي «ثناء العلماء على كتاب الدُرر السَنية».

«محمد مهدي الشيرازي»[١]، ومما يقوي هذا: ماجاء في كتاب المعارض الشيعي المعاصر عادل اللباد «الانقلاب»[٢] عند ذكره زيارته ومَن معه للشيرازي في قُم، قال: «وعند انتهاء الكلمة، قُدم لنا الشاي، ثم أُهدينا جميعًا بعض مؤلفات الإمام الشيرازي، ومذكرات مستر همفر»!

فما الذي حشر هذه المذكرات مع كتبه، حتى أصبح يُرفقها بها وكأنها منها؟!

ختامًا: قال الشيخ مالك بن حسين في مقاله: «وبعد دراستي لهذه المذكرات؛ تبيَّن لي أنَّ هذه المذكرات من نسج خيال فَرْد أو مجموعة؛ المقصود منها تشويه دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ بالكذب والافتراء، والأدلة على ما أقول كثيرة»[٣].

قلت: وقد عرفنا الأدلة، وهي تدين كاذب المذكرات، وتجعله ممن قال الله عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾. والله الهادي، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

❑ ❑ ❑

---

(١) المتوفى عام ١٤٢٢هـ. انظر عنه: كتاب تلميذه أحمد الكاتب «المرجعية الدينية الشيعية وآفاق التطور - محمد الشيرازي نموذجًا». وقد اعترف فيه (ص١٥٠) بأن شيخه: «يُحلق عاليًا في أجواء الغلو»!

(٢) (ص ١٧٢). وهو كتاب صدر حديثًا (١٤٣٠هـ)، يحكي فيه مؤلفه ذكرياته مع المعارضة الشيعية للحكم السعودي، ويذكر بعض المعلومات المهمة عن نشاطاتهم والدعم الإيراني لهم، ثم رؤيته تجاه من يراهم تخلوا عن خيار المعارضة، وركنوا إلى الدنيا! من رجالات الشيعة؛ كحسن الصفار والمحفوظ وغيرهما.

(٣) مجلة الأصالة (العدد ٣١).

ملحق عن رحلات الشيخ محمد بن عبدالوهاب العلمية

بما أن مذكرات همفر تمحورت - كما سبق - حول ادعاء لقاء همفر بالشيخ محمد رحمه الله أثناء وجوده في البصرة، فقد ارتأيت أن أنشر مُلخصًا لرحلات الشيخ العلمية التي ذكرها المؤرخون الثقات[١]؛ دفعًا للخلط الذي قد يقع فيها، مما قد يستغله الأفاكون، ومروجو الأكاذيب.

«سفره لطلب العلم:

كانت الانطباعات التي تكونت لدى الشيخ محمد إبان حجه الأول، لا تزال عالقة في ذهنه حينما همّ بمغادرة العيينة لمواصلة تعلمه. و كان ما رآه في الحرمين الشريفين من حلقات العلم و الوعظ؛ كافيًا لإقناعه بأن تكون خطوته الأولى في أسفاره العلمية إلى الحجاز. و هكذا سافر إلى مكة المكرمة، حيث حج مرة ثانية. و مع أنه من المحتمل أن الشيخ محمدًا بقي في تلك البلدة المقدسة بعد الحج للدراسة، فإن المصادر لا تذكر دراسته على علماء فيها. ولعله لم يمكث هناك مدة تستحق العناية والتسجيل. على أنه ما لبث أن سافر من مكة إلى المدينة، حيث بدأ رحلة مهمة من مراحل دراسته.

---

(١) نقلًا - بتصرف - عن كتاب «تاريخ المملكة العربية السعودية»؛ للدكتور عبدالله العثيمين (ص ٦٣ - ٦٨)، حيث أجاد الاختصار والصياغة. والهوامش مني؛ تتميمًا للفائدة. وانظر للتوسع: «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي»؛ للشيخ صالح العبود (١/ ١٣٣ - ١٨٢).

وكانت المدينة المنورة ملتقى العلماء وطلاب العلم من الأقطار الإسلامية المختلفة، وكان بعض هؤلاء يأتون إليها ويستقرون فيها للمجاورة، أما البعض الآخر فيقدمون إليها، ويمكثون فيها فترة، ثم يغادرونها عائدين إلى أوطانهم. ومع أنه من المرجّح أن الشيخ محمدًا قد حضر دروس عدة علماء في المسجد النبوي[١]، فإن صلته بالشيخين: عبد الله بن سيف[٢]، ومحمد حياة السندي[٣] كانت أوثق وأعمق من صلته بأيِ عالم غيرهما. وكان لهذين العالمين الجلَيلين أثرٌ كبير على الشيخ محمد، لا بالنسبة لتحصيله العلمي فقط، وإنما بالنسبة لاتجاهه الإصلاحي أيضًا؛ خاصة أن صلته بهما قد تمت وهو في مرحلة من مراحل عمره القابلة للتأثر والتوجيه.

---

(١) منهم: الشيخ علي أفندي الداغستاني. كما في «التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق» (ص ٢٥).

(٢) المتوفى عام (١١٤٠هـ). انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون»؛ للشيخ عبدالله البسام (٤/ ٦ - ١٠). وذكر ابن بشر في تاريخه (١/ ٧) عن الشيخ محمد قال: «كنت عنده - أي ابن سيف - يومًا، فقال لي: أتريد أن أريك سلاحًا أعددته للمجمعة - بلدته -؟ قلت: نعم. فأدخلني منزلًا عنده، فيه كتب كثيرة، وقال: هذا الذي أعددنا لها». وانظر للمزيد عنه: «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي»؛ للشيخ صالح العبود (١/ ١٥٠ - ١٥٦).

(٣) المتوفى عام (١١٦٣هـ). انظر ترجمته في: «سلك الدرر»؛ للمرادي (٤/ ٣٤)، و«عنوان المجد في تاريخ نجد»؛ لابن بشر (١/ ٤١)، و«أبجد العلوم»؛ لصديق حسن خان (٣/ ١٦٣)، و«الأعلام»؛ للزركلي (٦/ ١١١)، ومقدمة رسالته «فتح الغفور في وضع الأيدي على الصدور»؛ تحقيق محمد الأعظمي، ومقدمة رسالته «رسالة في حكم إعفاء اللّحى»؛ تحقيق الشيخ أبوعبد الرحمن عبد المجيد جمعة.

كان ابن سيف من بلدة المجمعة في نجد، وكان عالمًا بالفقه الحنبلي والحديث الشريف، كما كان معجبًا بشيخ الإسلام ابن تيمية، ولا شك أنه شجع تلميذه على قراءة كتب ذلك العالم الجليل.

أما محمد حياة السندي؛ فكان علاّمة في الحديث وعلومه، وكان من الداعين إلى الاجتهاد في الشريعة، ومن المعارضين للتعصب المذهبي[١]، وبالإضافة إلى ذلك كان من أشد المحاربين للبدع في الدين، وللأعمال التي قد تؤدي إلى الشرك[٢]. وكل هذه الأفكار والمواقف، تنطبق مع الأفكار والمواقف التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ووقفها فيما بعد. ولا تذكر المصادر التي تحدثت عن حياة الشيخ محمد طول المدة التي قضاها في المدينة المنورة.

وحينما عاد منها إلى العيينة؛ كانت قد تبلورت لديه فكرة المناداة بالإصلاح، لكنه لم يُصبح بعدُ مؤهلًا تأهيلًا كافيًا من الناحية العلمية، ولذلك فإن إنكاره لبعض الأمور التي لا تتفق مع الدين الإسلامي الخالص، كان محدودًا في مداه وفي تأثيره على الآخرين. وإدراكًا منه لوجوب إكمال تأهيله العلمي من ناحية، ولعدم تأثير أقواله على ذوي الشأن في بلدته من ناحية ثانيه، قرر أن يسافر مرة أخرى لطلب العلم.

---

(١) من مؤلفاته المطبوعة: «تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه الصلاة والسلام».

(٢) ذكر ابن بشر في تاريخه (١/ ٧) أن الشيخ محمد وقف يومًا عند الحجرة النبوية، وأناس يدعون ويستغيثون بقبر النبي ﷺ، فرآه الشيخ محمد حياة السندي، فأتى إليه، فقال الشيخ: ما تقول في هؤلاء؟ فقرأ الشيخ السندي: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾.

وكانت البصرة البلدة التي اتجه إليها محمد بن عبد الوهاب بعد إقامته في العيينة سنة واحدة تقريبًا، منذ عودته إليها من المدينة. وقد درس في البصرة: الفقه والحديث على عدد من علمائها. لكن العالم محمدًا المجموعي[١] كان الشيخ الذي لازمه أكثر من غيره. على أنه درس إلى جانب العلمين السابقين قواعد اللغة العربية حتى أتقنها، وفي ذلك ما فيه من منفعة لمن كان يُعد نفسه ليُصبح قائد دعوة تحتاج إلى من يكتب مُرغبًا فيها، ومدافعًا عنها.

و البصرة كما هو معروف، ميناء تجاري تلتقي فيه طوائف من مجتمعات مختلفة. و من المرجح أنه كان فيها كثير من الأمور التي تتعارض مع نظرة رجل قادم من بلدة صغيرة كالعيينة، ومجتمع محافظ كالمجتمع النجدي حين ذاك. وكان فيها، أيضًا، كثير من الشيعة، ومن المعروف ما بين هؤلاء وبين السنة المحافظين من اختلاف في وجهات النظر في المسائل الدينية.

وفي ظل تلك الظروف، بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب يُنكر ما هو مخالف للحق، وهكذا لم يعد مجرد طالب علم في تلك المدينة، و إنما أصبح داعية يعظ، فيُستمع اليه. ومن الواضح أن جوًا اجتماعيًا كجو البصرة، لا بد وأن يكون مؤيدو الشيخ محمد فيه أقل بكثير من معارضيه. وقد أصبحت المناقشات بينه وبين خصومه حادة ومثيرة. وكان أكثرها حدة

---

(١) قال ابن بشر في تاريخه (٧ - ٨): «عالم جليل من أهل المجموعة - قرية من قرى البصرة -»، ثم ذكر أن شيخه ابن منصور حدثه عن رجل من أهل البصرة: أن أولاد الشيخ المجموعي «هم أحسن أهل بلدهم بالصلاح، ومعرفة التوحيد، وهذا - والله أعلم - ببركة اجتماع الشيخ بوالدهم».

وإثارة: ما يتعلق بالعقيدة، وقضية التوحيد والشرك. ونتيجة لذلك؛ رأى المسؤولون هناك أنه قد يثير لقلاقل! فاضطروه إلى مغادرة البصرة.

و مرةً أخرى؛ لا تُحدد المصادر الموثوقة طول المدة التي قضاها الشيخ محمد في البصرة، لكن منها ما يُفيد بأنها كانت أطول إقامة له خارج وطنه. وقد مر بالزبير بعد خروجه من البصرة، لكنه لم يمكث فيها طويلًا.

و كانت الأحساء من المناطق التي زارها الشيخ محمد، وأقام فيها بعض الوقت، و لعله استفاد من علمائها في بعض الأمور الشرعية. وقد ناقش عددًا من أولئك العلماء في شؤون التوحيد والعقيدة. ومن بين هؤلاء: عبد الله بن فيروز(١)، ومحمد بن عفالق(٢)، وعبد الله بن عبد اللطيف(٣).

و قد عاد الشيخ محمد في نهاية المطاف إلى نجد، منهيًا بذلك رحلاته

---

(١) المتوفى عام (١١٧٥هـ). انظر ترجمته في «علماء نجد خلال ثمانية قرون»؛ للشيخ عبدالله البسام (٤/ ٤٨٦ - ٤٨٩). وأفاد بأنه ابن عمة الشيخ محمد. وهو والد محمد بن فيروز أحد أشهر المناوئين لدعوة الشيخ.

(٢) المتوفى عام (١١٦٣هـ). انظر ترجمته في «علماء نجد خلال ثمانية قرون»؛ للشيخ عبدالله البسام (٦/ ٣٨ - ٤٣). وقال عنه: «أدرك أول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله؛ فعاداها». قلت: انظر للمزيد عن مناوأته للدعوة السلفية: رسالة «المعارضة لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الأحساء»؛ للدكتور محمد بن عبدالله النويصر (ص ١٨٩ - ٢٠٨).

(٣) المتوفى عام (١١٨١هـ). انظر ترجمته، وطبيعة العلاقة بينه وبين الشيخ محمد في رسالة: «المعارضة لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الأحساء»؛ للدكتور محمد بن عبدالله النويصر (ص ٢٠٨ - ٢٢٣). قال: «ونظرًا لمكانة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف العلمية، كان الشيخ محمد حريصًا على ضمه إلى جانبه»، إلا أنه - للأسف - ارتضى أن يكون من المناوئين! وإن كان أقلهم انتقادًا للدعوة السلفية.

العلمية. وكان أبوه عبد الوهاب قد عُزل عن قضاء العيينة سنة ١١٣٩ هـ، فانتقل إلى حريملاء، حيث أصبح قاضيًا لها.

و بذلك اتجه الشيخ محمد إلى هذه البلدة، ليلتحق بأبيه وأسرته.

و المصادر الموثوقة المقربة من الشيخ محمد لا تذكر أن رحلاته العلمية خارج نجد تجاوزت ثلاثة أمكنة: الحجاز، والأحساء، والبصرة[١]. لكن بعض المصادر أشارت إلى أنه سافر إلى بلدان أخرى، في العراق والشام وفارس. غير أن النتيجة التي يصل إليها الباحث من خلال مقارنة جميع المصادر، هي الأخذ برواية المؤرخين المؤيدين للشيخ محمد، المقربين منه؛ وذلك لسببين:

أحدهما: أنهم ادرى بتفاصيل حياته من غيرهم.

وثانيهما: أنهم حرصوا كل الحرص على تدوين فضائلة. ومن المعروف أن السفر في طلب العلم فضيلة. ولو سافر الشيخ محمد إلى بلدان غير التي ذكروها، لما ترددوا في تدوين ذلك، وتفصيله؛ إظهارًا لفضله».

❑ ❑ ❑

(١) وعلى رأسها: ابن غنام في تاريخه (١/ ٢٥ - ٣٣)، وابن بشر في تاريخه (١/ ٦ - ٨).

فهرس المحتويات